16 ème Année No. 790

Lundi — 23 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
١٠ م ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٩٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شوال سنة ١٣٦٧ — ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

يهـــوه على الأرض

للأستاذ نقولا الحداد

جاءنا برنادوت المجيء الثانى بأوامر ما أنزل الله بها من سلطان ، ولكنه هو أنزل أو يريد أن ينزل سلطاناً . جاءنا بأمر هدنة لا نهاية لها . والعادة أن الهدنة يقترحها أحد المتحاربين ويقبلها الآخر لأن كلا من الفريقين يحتاج إليها لغرض واحد كأن يتفقا على دفن قتلاهما . ولكن هذه الهدنة فرضها برنادوت فرضاً لأجل غير مسمى بلا لزوم ... بسلطان مَن فرضها ؟ — بسلطان مجلس الأمن ... يحتاج إليها اليهود ولا يريدها العرب ؛ ولكن مجلس الأمن أمر ، وأمره الأمر . لماذا ! لعل هذا المجلس هو الله على الأرض ؟ ... ونحن لا نعرف إلهاً على الأرض إلا ما نسمع اليهود ينادونه حيناً بعد حين : « يا إله اليهود » كذا يدعون ويتوسلون ويصلون . . فمن هو إله اليهود هذا ؟ هل هو غير إله المسلمين والمسيحيين ؟ — يظهر أنه إله آخر غير إله العالم كله . بحثنا عنه فى توراتهم فإذا هو الجنرال يهوه رب الجنود . انظر سفر الخروج ٦ : ٣ ومعناه « سيصير » أى أنه سرمدى . واسمه أيضاً أهيه الذى أهيه ومعناه « يكون » خروج ٣ : ١٤ ونصوص التوراة تصور لنا يهوه إنساناً عظيماً يخاطب البشر ويأمر موسى ويوشع أوامر لا تطابق التعاليم الدينية الصالحة كسفك الدم والنهب . وينضب وينتقم ، إلى غير ذلك من أخلاق البشر . والله منزه عن كل هذه الصفات .

فهل نزل إلههم إلى الأرض لكى يصدر أوامر كما كان يصدر أوامر إلى يشوع حين جعل يغزو أرض كنعان بسفك دم ونهب وتقتيل كبار وصغار ورجال ونساء ؟

إذا كانت هذه الهدنة أبدية فالمعنى أن الحرب انتهت . على أى اتفاق انتهت ؟

هل يريد مجلس الأمن أن يفرض معاهدة خاصة على اتفاق خاص فرضاً ؟ العادة أن الاتفاق يتم برضى الفريقين وإلا فلا اتفاق وإذن فلا هدنة ، وإذن يكون إرغام أحد الفريقين على المهادنة دون الآخر هو بأمر يهوه . وقد قال برنادوت أمس فى صراحة بهذا الصدد « أنه سيبلغ مجلس الأمن عن الفريق الذى ينقض الهدنة والمجلس يقرر العقوبة . ولكن ليس معنى هذا أن الفريق الآخر يجوز له أن ينقضها بل يجب عليه يحافظ عليها » ومعنى هذا الكلام اللغو: أنه إذا هجم اليهود بألفى جندى على القدس القديمة يجب أن تبقى الحامية العربية التى فيها مكتوفة الأيدى تتلقى رصاص اليهود بصدورها .

وما على برنادوت إلا أن يبلغ الخبر إلى مجلس الأمن وينتظر الجواب !

هذه هى شريعة يهوه جنرال اليهود الذى نزل إلى الأرض فى هذه الأيام !

* * *

طلب السير ألكسندر كادوجان إلى مجلس الأمن أن يرسل ١٠٠ ألف جنيه للاجئين العرب فرفض المجلس هذا الطلب !

ألو كان شرتوك هو الذى طلب هذا الطلب فهل كان مجلس الأمن يرفض ؟ من كلف كادوجان أن يطلب إعانة للاجئى العرب ؟ ومن قال له أن العرب يقبلون إحساناً من أية أمة ؟ فى حين أن قسما كبيراً من مالية هيئة الأمم هو من الدول العربية . والدول العربية كلها قررت أن تفرض ضريبة خاصة لإعانة المنكوبين . ولكن هى إنجلترا كالثعلب تتظاهر أحياناً بالعطف على العرب فى حين أنها تغدر بهم فى الخفاء .

إن المائة ألف التى اقترحها كادوجان لا تكفى إلا ربعمائة ألف لاجىء أسبوعين . والملك عبد الله ينفق كل يوم ٢٢٠٠ جنيه ثمن خبز للاجئين عنده .

* * *

جاء برنادوت بمهمة وضع مشروع لفلسطين يقبله العرب واليهود . وقد جرب حظه فى الهدنة السابقة فخاب سعيه ؛ لأن المشروع عقيم ، وبرنادوت لا يستطيع أن يخصب العقيم . وهو يعلم شرط العرب الذى لا يقبل الجدل بتاتاً ، وهو عروبة فلسطين التامة . فلماذا يضيع وقته ووقتنا فى طلب المستحيل . إذن ستبقى الهدنة إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين . فما معنى هذه الهدنة الأبدية وما الغرض منها ؟ أيريد سمو الكونت برنادوت أن يصيف ويشتى ، ويصيف ويشتى ، فى رودس إلى ما شاء الله على حساب هيئة الأمم ؟ ما أسخف منه إلا المجلس الذى انتدبه . لو كان شريف المحتد كما يقال وله شئ من كرامة النفس لما قبل هذه المهمة غير الشريفة .

جعل برنادوت مسألة اللاجئين العرب فى مقدمة مساعيه . يريد على زعمه رجوع العرب الفارين من وحشية اليهود وتفظيعهم على الرغم من أن اليهود يرفضون رجوعهم بل يريدون أن يؤتى بيهود من الخارج يحلون محل العرب المهاجرين .

على أى أساس يقترح برنادوت رجوع المهاجرين العرب ؟ هل يضمن أن اليهود لا يعيدون تمثيل دور دير ياسين الفظيع ؟ أم هل يسمح بأن يتسلح العرب الراجعون تسليحاً كاملا ضخماً لكى يدرأوا عنهم شر أولئك الوحوش الطلقاء ؟

أم يقول إنه يأخذ على اليهود عهداً بأن يكونوا قدسيين إنسانيين . وإذا كنا لا نصدق عهود كبريات الدول فهل نصدق عهود أبنائها اليهود المدللين؟

ثم يقترح برنادوت أن يغاث العرب اللاجئين مدة تشردهم عن بلادهم إلى أن يعودوا إلى بلادهم . وهناك ما ذا يكون ؟ هل يتقدم أصحابه اليهود لإطعامهم وإيوائهم بعد أن هدموا منازلهم ونهبوا بيوتهم وساقوا أنعامهم ولم يبق لهم لا مأوى ولا طعام حتى ولا زرع يستغلونه ، لأن اليهود أحرقوا الزرع واستغلوا ما استغلوا منه .

هل فكر الفيلسوف برنادوت حلال المشاكل فى كل هذا قبل أن يرحل إلى بلاده لكى يحضر مؤتمر الصليب الأحمر ؟ أم أن المنكوبين يصومون نياماً تحت الشجر إلى أن يعود بالسلامة ؟

* * *

يقول إنه سيعود إلى بلاده لكى يحضر مؤتمر الصليب الأحمر ، وبعد ذلك يعود لكى يبسط مشروعه بشأن فلسطين ويهتم بالعقدة العربية الصهيونية . يعنى ما دامت الهدنة أبدية فلا بأس أن يؤجل ويسوف ولا يهمه أن يقلق الناس فى الشرق العربى على المصير . إذن لا يستطيع أن يفعل شيئاً الآن ونحن نعلم أنه لا يستطيع . فعليه إذن أن ينفض يده من هذه المهمة العقيمة والعرب وحدهم يمكنهم حل هذه المشكلة . فلماذا يتعب نفسه فيما لا طائل تحته ؟ لسنا نصبر إلى أن يقوم فى « كيف » برنادوت أن يقضى أمراً أو يقول كلمة . ونحن عندنا مشردون معذبون يجب أن يعودوا إلى بلادهم مطمئنين لا أن يحتلها قوم جاءوا من آخر الدنيا غزاة طغاة . وعندنا جيوش واقفة فى الميادين معطلة عن العمل . فإذا لم يستطع برنادوت أن يأتى بحل للعقدة لكى ينفرط عقد هذه الجيوش وتعود إلى مواطنها ، فلا أقل من أن تنزل الجيوش الميدان وتحل العقدة بسيف الاسكندر . دعنا نحن نحل العقدة ، فنحلها بسهولة .

لا نسمح أن تحل العقدة بأن يرخى برنادوت العنان قليلا لليهود لكى يتقدموا خطوة ، ثم يشد العنان للعرب لكى يتأخروا خطوة . هذا أسلوب ماكر خبيث لا يسمح به العرب . كفى ضحكا سخيفا على الذقون .

* * *

والآن نوجه العتاب إلى الجامعة العربية الموقرة : أن العالم

ما أشبه الليلة بالبارحة ؟

مكر يهـــود

للأستاذ عمر الخطيب

[إن في العار الذي ينكل رؤوس العرب ، وإن في العار الذي يخجل رؤوس اليهود ، لمادة ثرة للخيال البديع ، ومداداً فياضاً للقلم الخالق]

« الأستاذ الزيات »

على البطاح المطلة على (يثرب) ، وبين تلك الشعاب البيض التي تعج بالرمال ، وتنام في أحضان الجبال ، تسكن قبيلتان جمعت بينهما وشائج القربى وأواصر النسب ، وفرقت بينهما شريعة الصحراء ، والجاهلة الجهلاء ، هما (الأوس والخزرج) اللتان استفحل العداء بينهما ، وأكل قلوب زعمائهما وأودى بهما إلى حروب طاحنة ومعارك دامية ، أرثت بينهما نوازع الشر ، والتهمت الشباب الغض ، حتى أصبحوا لا يفترقون من وقعة حتى تجمع بينهما أخرى ، وما يجف الدم من معركة حتى يسيل ثانية ويفور :

إذا افترقوا من وقعة جمعتهم دماء لأخرى ما يطل نجيعها

وآخرها تمخضت عنه هذه الأحداث النكراء ، والترات الدكناء حرب كبرى لم يشهد العرب لها مثيلاً ، أورت الجزيرة بزناد الفتنة ، وشطرت العرب أشطاراً متناحرة ، وجعلتهم أحزاباً متنافرة ، تلك هي حرب (بُعاث) التي تجندل في حومتها الفرسان وسارت بحديثها الركبان ، والتي كان للشعراء فيها معارك أخرى ليست الألسنة فيها بأقل إيلاماً من السيوف ، ولا القصائد بأدنى تأثيراً من السهام ؛ وإذا كان السيف المهند يطيح بالرأس ، والسهم المريش يزهق النفس ، فإن اللسان العضب يخدش العرض الكريم بالمذمة ، والقريض القوي يطعن الأنف الحمي بالمهانة ...

***

ولما أن ظهر في الجزيرة (محمد) يحمل رسالة الله وشرعة الحق ، ويدعو العرب إلى دين الإخاء والمساواة ، ومبدأ العدالة والنور ، استشار العربُ أحبار اليهود في أمر هذا النبي الجديد وقالوا لهم : « يا معشر يهود ! إنكم أهل الكتاب الأول ، وأهل العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالت اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه »[1] . فخالفوا بذلك شريعة التوحيد ، وناقضوا تعاليم التوراة .

بيد أنه لم يمض غير قليل حتى اشتد أزر هذا الدين ، وقوى ساعد هذه الدعوة ، والتف العرب حولها ، واستبسلوا في سبيلها ، إذ كانت حمامة السلام بين القبائل المتلاحمة ، والأحزاب المتخاصمة طمست من بينهم معالم الشر ، وأطفأت نار الحرب ، وجعلت من هؤلاء الأعراب الجفاة خير عون وأقوى نصير ، وإذا بالأوس والخزرج تتآخيان بعد التلاحي ، وتتصافيان بعد التجافي ،

---

(١) يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب) : « كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ... »

على البطاح المطلة على (يثرب) ، وبين تلك الشعاب البيض التي تعج بالرمال ، وتنام في أحضان الجبال ، تسكن قبيلتان جمعت بينهما وشائج القربى وأواصر النسب ، وفرقت بينهما شريعة الصحراء ، والجاهلة الجهلاء ، هما (الأوس والخزرج) اللتان استفحل العداء بينهما ، وأكل قلوب زعمائهما وأودى بهما إلى

العربي كله يضج بسبب طول أناة الجامعة ومراعاتها إحساس بعض الدول الكبرى وخاطر مجلس الأمن ، وقد علمنا أن مجلس الأمن كهيئة الأمم مؤتمر للصوفية . وفهمنا أن الإنجليز الذين يتظاهرون بالعطف على العرب أحياناً وبالعطف على اليهود أخرى هم أروغ من ثعلب . فحتى متى تصبر الجامعة على هذا المكر الدولي ؟

اليهود ينقضون الهدنة كل يوم ، فهذا يسوغ لنا أن ننقضها أيضاً وأن توعز الجامعة إلى الجيوش العربية أن تنقض على اليهود في فلسطين في وقت واحد ، وتقذف بهم إلى بحر تل أبيب ، فتخلص البلاد من شرهم وتحرر إخواننا العرب الذين وقعوا بين براثنهم في يافا وحيفا وعكا .

كفى يا سادة صبراً وأملاً بالسراب ! إن كنتم تحسبون حساباً لمساعدة الدول العظمى لليهود فخير لنا أن ننكسر في حرب تشنها كل الدول علينا من أن ندع السرطان الإسرائيلي يتغلغل في بلادنا ويقضي على حريتنا قضاء مبرماً . الانهزام في حرب دولية ولا الاستخذاء للصهيونية ...

نفولا الحداد

وتسيران معاً فى ركاب هذا الدين الجديد ، تحت قيادة الرسول العظيم ...

ولما هاجر إلى المدينة كانوا (أنصاره) الصادقين ، وأصحابه المخلصين ، آمنوا به وآزروه ، وعاهدوه على أن ينصروه ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم وأنفسهم ، واستقبلوا إخوانهم المهاجرين أحسن استقبال ، وأنزلوهم خير منزل حتى ليقول عبد الرحمن بن عوف فى حديث له : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بينى وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع : إنى أكثر الأنصار مالاً ، فأقسم لك نصف مالى ، وانظر أى زوجتىّ هويت ، نزلتُ لك عنها ، فإذا حلّت تزوجتها ... »

وهكذا تكوّن من هؤلاء جيش الإسلام الأول وفرسانه الكماة وأبطاله المغاوير الذين بذلوا فى سبيله أموالهم وأرخصوا أرواحهم ، حتى أعزه الله ، وساد الجزيرة ، وعم صداه أرجاء المعمورة ...

* * *

نهد (يهود) هذا التحالف القوى والإخاء المتين ، وأوجسوا شراً من هذا الدين ، وأجمعوا على الكيد بمحمد ، والمكر بأصحابه لأنهم علموا أن هذا الدين — لا محالة — سيعلو ، وإن هذا الرسول سيقوى ، وإن القوة ستحمى ذمار الحق حتى ينتصر ويسود ، ولما أنهم (أهل كتاب) يعلمون صدق الرسول فى دعواه ، يئسوا من القضاء على دعوته ، واتفقوا على المكر به وبصحابته ، واليهود أبطال الكيد فى الخفاء ، وأهل الخيانة والمكر ، لا تعجزهم الحيل ، ولا يتورعون عن الغدر !

أما من حيث مكرهم برسول الله ، فقد حرّضوا (لبيد بن الأعصم) الذى اشتهر بعداوته للرسول وشدة البغض له فسحره ، بيد أن جبريل أخبره بذلك السحر وبمكانه ، ورد الله كيد الخائنين ، وعفا رسول الله عن لبيد وقال : « أما أنا فقد عافانى الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً » (يعنى بقتله) .

وأرادوا بعد ذلك أن يمكروا بأصحاب الرسول ويفرّقوا جمعهم ، حتى ينفضوا عن (محمد) ويعتزلوا دينه ، فيبقى وحده فى الميدان دون نصير يمنعه ويؤيده ، بعد أن كذّبته (قريش) ، واشتدت فى إيذائه ، وأجمعت على قتله ، وتفريق دمه بين القبائل ، فلبثوا يرتقبون الفرص ، ويحيكون الدسائس ...

* * *

خرج (شاس بن قيس) ، وهو من أحبار اليهود وزبانيتهم يجوب فى أطراف يثرب يوماً وحوله بعض أعوانه ، وقد بيّت فى نفسه شراً ، بعد أن ضاقت به الحيل ، وتقطعت به أسباب المكر ، فألفى (الأنصار) مجتمعين ، وقد رفرف فوقهم طائر اليمن والخير مستبشرة نفوسهم ، متهللة أساريرهم ، ترقص قلوبهم طرباً بهذا (الإسلام) الذى جمع بينهم ، ووحد صفوفهم ، وأزال من بينهم الضغائن والإحن وأبدلهم بها حباً وإخاء ، وألف بين قلوبهم برابطة الإيمان ، فأصبحوا بنعمته إخواناً ...

شهد هذا اليهودى الماكر ، هذا المجلس الهادئ ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال : « قد اجتمع بنو قيلة[1] والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار » . وأزمع على أن يمكر صفوهم ، ويوقع بينهم ، فرجع بذهنه إلى يوم (بُعاث) ، وما كان فيه بينهم من هجاء وعداء ، فوجد فيه مجالا للاستغلال ، وموطناً لإثارة الأحقاد الدفينة ، وأيقن أنه يستطيع أن ينفض مجلسهم ، ويحرك أنفسهم ، حتى تعود الخصومة بينهم أشد مما كانت ، فتفل عزائمهم ، وتحل روابطهم ... ويرجعوا أقواماً متلاحين ، وقبائل متخاصمين ، ويتفرقوا عن (محمد) ، ويتخلوا عن تأييد رسالته ، وهذا ما تتقطع دونه أعناق يهود ، وينفقون فى سبيله أعز ما لديهم ...

التفت هذا الغادر إلى واحد من أعوانه فوسوس إليه : أن يعمد إلى مجلس (الأنصار) فيجلس معهم ثم يذكر يوم (بُعاث) وينشدهم قصائد شعرائهم ، ويعمل على المكر بهم ، والقضاء على إلفتهم ...

* * *

لم يدر (الأنصار) كيف تسلل إليهم هذا اليهودى الخبيث ولم ينتبهوا لمهمته ، ولم يتيقظوا لكيدته ، فوقف بينهم يذكر يوم (بعاث) ، وينشدهم ما كانوا يتقاولون به من أشعار ، ويؤلّب الأوس على الخزرج ، حتى وقعت الواقعة ، فذكر القوم ذلك اليوم ، وتنازعوا وتفاخروا ، وأنشد كل أقوال شاعرهم ، ونادى

(١) هو اسم أمهم قيلة بنت كاهل .

الاتجاهات الحديثة في الإسلام : (*)

أسس الفكر الاسلامى

للأستاذ ه . ا . ر . جب

أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد وعضو مجمع فؤاد للغة العربية

إذا أردنا أن نحيط علماً بالتيارات الفكرية الدينية بين المسلمين اليوم ، واجهتنا صعوبة عملية . فلم تحدث حركة فكرية من غير أن يكون لها تأثير . وسواء كانت دوافعها كثيرة وقوية أو قليلة وضعيفة ؛ فلابد من حدوث صدى لها . ولا يمكننا أن نتتبع الحركات الحديثة فى الإسلام بدون أن نرفع القواعد من الأفكار الإسلامية .

وقد يبدو واضحاً أن الأساس المقنع هو الدولة الإسلامية فى القرن التاسع عشر . . أو على الأقل الإسلام فى القرن الثامن عشر . ولكن هذه موضوعات لا زالت معلوماتنا عنها محدودة . وقد ذهب كتاب الإسلام إلى الاهتمام بالقرون الأولى إبان التقدم العلمى والدينى ، وظهور حركة الصوفية وإخوان الصفاء . وبعد القرن الثالث عشر أو ما يقرب من ذلك ، كان معتقداً أن الإسلام باق على قواعده الثابتة التى خلقها له العلماء والمشرعون والحكماء والروحانيون ، فلن يتقدم بل يتأخر . وهذا الرأى يتراءى لنا — من بعض الوجوه — أنه صحيح . والحق أنه صدر عن احد علماء الإسلام المحدثين . ولكن لم تبق نظم العقيدة والفكر سائدة أكثر من ستة قرون . وإذ تقدمت القواعد

(*) H ' A ' R ' gibb : Modern Trends in Islam ' chicago 1947

أحدث مؤلفات المستشرق المشهور : ا . ر . جب أستاذ اللغة العربية بجامعة اكسفورد . وقد ولد بمصر وقضى سنوات عديدة فى الدراسة والكتابة عن الإسلام والمسلمين . وقراء العربية يعرفونه من بحوثه فى مجلة الأدب والفن . وعندما كان أستاذاً زائراً للدين المقارن بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة ، وضع الأستاذ جب هذا الكتاب الذى تقدم اليوم ما تيسر من فصله الأول . وهو يكشف عن أساس وأسباب وطبيعة حركة المجددين ويحلل أهدافها ، ويشرح جهاد مفكرى الإسلام أمثال جمال الدين وأحمد خان ومحمد إقبال ، والصراع بين روح الشرق وعقل الغرب ، ويبحث القانون والمجتمع فى الإسلام ، وأخيراً يتحدث عن الإسلام = = فى العالم .

وليس من شك فى أن آراء الأستاذ جب جديرة بالاهتمام . وقد أهدى كتابه هذا إلى ذكرى « محمد حسنين عبد الرازق » تخليداً لصداقة ٢٥ عاماً . (المترجم)

هؤلاء : يا آل الأوس ! ونادى هؤلاء : يا آل الخزرج ! ولم ينصرف اللعين إلا بعد أن احمرت الأحداق ، واحتدم الغيظ ، وثارت الأحقاد ، وتطايرت الدماء إلى الرؤوس ، وافترقوا وقد تواعدوا على القتال ...

* * *

سمع رسول الله بما أصاب الأنصار ، فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين وفى وجهه الغضب ، ووقف بينهم يرمقهم بنظرات أرجعتهم إلى صوابهم ، وأعادت إليهم رشدهم ، ثم تطلع إليهم بعينين دامعتين وقال — وقد ملك عليهم ألبابهم ، وتمكن من شغاف قلوبهم — : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! اتقوا الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ! بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم » ... ولم ينته صلى الله عليه وسلم من كلامه حتى عرف القوم أنها نزغة شيطانية ، ومكيدة يهودية ، فتعانقوا وتمتمت ألسنتهم بكلمات الأخوة الحق ، والتوبة الصادقة ، وانتثرت من محاجرهم دموع الندامة ، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد عاهدوه على الإخلاص لهذا الدين ، والاعتصام بحبل الله المتين ... وإذا يوحى الله ينزل على الرسول بهذه الآيات :

« يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(١)

(دمشق — المزة) عمر الخطيب

(فى الفيحاء)

---

(١) سورة آل عمران

الظاهرية للعقيدة الإسلامية فى هذه الفترة ، فإن التكوين الأصلى لحياة المسلمين الدينية ، قد اعتراه التغيير والإصلاح .

وسنمعن النظر فقط إلى الظواهر الحيوية الخارجيـة التى ظهرت فى الإسلام ، مثل تكوين الامبراطورية العثمانية فى الشرق الأدنى ، وقيام امبراطورية المغول فى الهند ، ونشاط الشيعة فى فارس ، والتوسع فى أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ، ونمو المجتمع الإسلامى فى الصين ، وطرد الإسبان والبرتغال من مراكش ، وامتداد نطاق الإسلام فى شرق أفريقيا وغربيها . وقد اعتبرها قدماء المؤرخين حركات حربية ، وإن عقيدة الغزو والتوسع عقيدة حية . ونحن نعرف — أكثر من قبل — الدور الذى لعبته هذه العقيدة .

إن أساس الفكر الإسلامى هو بالطبع : القرآن . وليس القرآن — كالإنجيل مجموعة كتب ذات تواريخ مختلفة وبأيدى متباينة ؛ إنه سفر من السور بلغها محمد (ص) فى السنوات العشرين الأخيرة من حياته تقريباً . فيشتمل على تعاليم دينية وأخلاقية ، ومجادلات ضد الكفار ، وخلاصات للحوادث السابقة ، وقواعد للشئون الاجتماعية والمسائل الشرعية . وقد اعتقد محمد (ص) أن كل ما جاء به من هـذه الأمور كان بوحى من الله ، إذ لم يكن مصطبغاً بفكره الخاص . إنه كلام الله نفسه قام بتلقينه الملاك جبريل . وبعد ما قاله الأستاذ دنكن بلاك مكدونلد من اقتراب العالم المجهول من العقل السامى وعن نظرة الشرقيين للنبوة ، فإن من الضرورى أن أتتبع الأسس النفسية لهذه العقيدة .

إننا قد نحيد عن الصواب إذا اعتبرناها مجرد نظرية (بديهية) متوارثة جيلا بعـد جيل منذ ألف وثلاثمائة عام . بل هى على النقيض من ذلك اعتقاد حى طالما تجدد وثبت فى عقل المسلم — وخاصة العربى — بدراسته للكتاب المقدس .

لقد عارض المسلمون المتدينون عامة فى ترجمة القرآن ، حتى إلى اللغات الإسلامية الأخرى (١)

وهـذا الاتجاه تؤيده أدلة نظرية ، منطقية فى حد ذاتها ، ولـكن يمكن أن تعارض من اعتبارات مختلفة . ذلك أن القرآن أساساً غير قابل للترجمة ، كما هو الحال فى الشعر الرصين . إن المتنبىء لا يستطيع أن ينقل نبوءته إلى لغة عادية ، يمكنه أن يعبر عن نفسه فى صور متكسرة ، كما تلعب موسيقى الأصوات دوراً غير محدود فى جذب عقل السامع لتلقى الرسـالة . مثلا حالة الترجمات اللاتينية والإنجليزية لـكتاب الإغريق والعبريين ؛ فقد أعطوا الـكلمات الجديدة شيئاً من القوة العاطفية ، بدون اعتماد على التركيب — وأحياناً المعنى — الأصلى .

وإن ترجمة إنجليزية للقرآن ، ينبغى أن تستخدم تعبيرات دقيقة صحيحة للعبارات الرقيقة الذهبية فى اللغة العربية ، وفى نواحى القصص والتشريع وما أشبه ذلك ، تكون الخسارة أقل خطراً ، بالرغم من أن تفكك المعلومات ، بل والظلال الجميلة والجوانب البليغة ، قد يكون لها تأثير غـير محدد . ففى جملة بسيطة مثل « بالتأكيد نحن نحيى ونميت وإلينا الرحيل (المصير) » :

(verily Wegive life and death and unto Us js (the journeying يستحيل علينـا أن نظهر — فى الإنجليزية أو أية لغة أخرى — قوة الضمير « نحن » المكرر خمس مرات فى الـكلمات الست الأصلية (١) .

إننا لن نتطلع إلى معنى القرآن عند العربى ، حتى نتبين قيمة الدور الذى تقوم به اللغة فى تحديد المواقف السيكولوجية .

فبزوغ الحياة العقلية عند العرب — كما بين الآخرين — قد ازدهر بالخيال ، الذى ظهر فى الإبداع الفنى . ولطالما قيل إنه ليس للعرب فن ، وقد يكون هـذا صحيحاً إذا حددنا الفن بأعمال كالنحت والطلاء ... ولـكنه يكون تحديداً ظالماً خاطئاً . فالفن هو أى إنتاج يعبر فيه الشعور الجمالى عن نفسه . وهناك شك فى حاجة الناس إلى التعبير الفنى بأى شكل ، سواء فى الموسيقى أو الرقص ، أو الفنون المادية والنظرية الأخرى ... وميدان الشعور الجمالى عند العرب هو أساساً الـكلمات واللغة ، وهـذا أكثر إغراء بل أعظم ثباتاً وخطراً من سائر الفنون . إذن فمن السهل أن نفهم السبب فى أن العرب — الذين عندهم استخدام الـكلام البليغ أسمى الفنون — يرون فى القرآن أعجوبة حقيقية وعملا فوق طاقة البشر .

ولقد كان العرب والمسلمون عامة مجبرين على إنكار الأفكار

(١) يرى علماء الأزهر الآن جواز ترجمة القرآن لأغراض غـير دينية بواسطة مسلمين أعاجم : أنظر نور الإسلام (مجلة الأزهر) ص ٢ ص ١٢٢ — ١٣٢ ، ص ٨ ص ٧٧ — ١١٢ ، ص١٢٣ - ١٣٤ ، وخاصة بحث الأستاذ محمد فريد وجدى : « الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن » ويعارض الرأى بشدة السلفى الشيخ رشيد رضا — فى كتابه : « ترجمة القرآن » ، (القاهرة ١٩٢٦) .

(١) سورة ٥٠ آية ٤٢ : إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (ق)

العالمية مثل « القانون الطبيعي » أو العدل المثالي ، وأظهروا الثنائية أو المادية على أنها مؤسسة على طرق مزيفة في التفكير تنتج خيراً قليلا وشراً كثيراً . وسنرى كيف أن مصلح الإسلام الكبير — في القرن التاسع عشر — جمال الدين الأفغاني ، صب جام غضبه على المجددين المتمردين الذين حاولوا إثبات صدق الإسلام بمناقشة « تلاؤمه مع الطبيعة » . ومع أن العلماء المسلمين قد وجدوا في المنطق والرياضيات — مثلا — فائدة ، وشجعوا الأسلوب « العلمي في التفكير ؛ إلا أنهم قد أبقوا هذه الأمور في مراتب ثانوية .

والإجماع من مميزات الفكر الإسلامي . وهناك من حاولوا تحديده بإجماع المتعلمين ، ولكن حادثاً عجباً في القرن السابع عشر يبين كيف كان هذا النوع لا فائدة منه ، حتى ولو آزرته القوة الحاكمة ضد الرأي العام . فعند ما بدأ استعمال القهوة ينتشر في الشرق الأدنى ، أجمع العلماء على أن شرب القهوة حرام ، وعقوبته مثل عقوبة شرب الخمر . وفعلا حوكم بعض الأفراد لانغماسهم في شربها علانية ! (١) ولكن إرادة المجتمع تغلبت . واليوم يحتسي الجميع القهوة بحرية حتى المتزمتون الذين يعارضون الإجماع في المبدأ .

ومن الواضح أن الإجماع كان دائماً موضع خلاف بين المحافظين والمجددين ، وهو ليس مبدأ حرية بل أساساً للسلطة ، ولو أن حكمه يقتصر على المسائل التي لم يحكم فيها القرآن أو السنة ، لذلك ولأنه قوة تسمح بما يسمى تجديدا ، فإن العلماء الروحانيين على مر العصور — من القرن الثالث إلى الوهابيين اليوم يعارضون فيما يترتب عليه ، ويقصرون شرعيته على الجيل الأول من المسلمين . هذا في حين أن المجددين على الدوام قد اعتمدوا عليه في توسيع مدى عدالة أعمالهم (٢) .

والاجتهاد عكس الإجماع . وقد أطلق عليه إقبال « مبدأ الحركة في الإسلام » ولابد من معرفة معنى الاجتهاد والدور الذي لعبه في تاريخ الفكر الإسلامي . وهو — كما يعتقد بعض المجددين حرية الحكم . ومن الناحية الأدبية يعني الاجتهاد : إجهاد النفس في محاولة الكشف عن الأغراض الحقيقية لتعاليم القرآن والسنة . وقد عمل المتدينون على تحديد موضوعه خوفاً من أن يفتح باب المعارضة الفردية والانقسام . وأخيراً لم تبق ثغرة في هذه المسائل لم تسد ، فأقفل باب الاجتهاد تماماً (١).

ومهما يكن من شيء فإنها ظاهرة خطيرة للسنة الإسلامية Sunni Islam في قبولها للاختلافات الواقعة في الرأي في المجتمع — ولطالما تخرت بهذا — وأحسن مثل هو المذاهب الأربعة في الشرع : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ، أسسها الأئمة الأربعة في القرنين الثاني والثالث ، وهم جميعاً من السنيين . فهذه المذاهب — مثلا — تدرس في جامعة الأزهر الدينية . حقاً إن الاختلافات بينها تنحصر في نقط ضيقة في الشرع والشعائر ، بالرغم من أن الحنابلة — بعدائهم المستحكم لكل المجددين — يعارضون الإجماع من الناحية الدينية — في كل شيء إلا مدلوله الضيق ، وأحياناً يظهرون عدم رضائهم عن الآراء الأخرى .

(يتبع) ترجمة محمد محمد علي

---

(١) راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مادة « قهوة » ، بقلم س . فان أرندنك .

(٢) يجد القارىء خلاصة لنتائج البحث في الإجماع في كتاب : O ' Pesle ; Le Fondements du droit musumau ' Casad lancâ ' 1644 . وكذلك دائرة المعارف الإسلامية مادة إجماع بقلم د . ب . مكدونلد . وقد ظهر حديثاً كتاب (الإجماع في الشريعة الإسلامية لصاحب المعالي علي عبد الرازق بك . (المترجم)

(١) نوقش موضوع تحديد الاجتهاد في نور الإسلام — مع إشارة خاصة إلى دعاوى المجددين : س ١ ص ٣٧ — ٤٢ ، ٣ ص ٢٨٤ — ٢٨٦ ، س ٤ ص ٣٩١ . وتجد الرأي الإصلاحي السلفي في كتاب . H ' Laoust Le Califat dans la doctrine de Rachid Rida ' Beirut ' 1638

محمود خفيف

يقدم

من وراء المنظار

صور انتقادية فكهة من حياتنا الاجتماعية

مسكويه

أبو علي الخازن (*)

الأديب ، الفيلسوف ، المؤرخ ، الحكيم ، القصصي

توفي (٤٢١ هـ) — (١٠٣٠ م)

للأستاذ أحمد سامح الخالدي

نشأ في كنف آل بويه ، وهم على رأي ابن طباطبا في الفخري من الفرس وليسوا من الديلم ، وإنما سموا بالديلم لأنهم سكنوا بلاد الديلم ، وهي في الناحية الجنوبية الغربية من بحر قزوين ، كثيرة الأشجار والغابات ، غزيرة الأمطار ، يشتغل أهلها بصيد الأسماك والتحطيب .

وقد سميت هذه العائلة بآل بويه ، نسبة إلى بويه جدّ العائلة ومؤسسها ، وكان صياد سمك ، وكان أحد أبنائه الثلاثة معز الدولة (أبو الحسين أحمد) يقول بعد تملكه البلاد « كنت احتطب الحطب على رأسي » .

نشأت هذه العائلة المالكة من هذا الأصل الوضيع ، واستولت على الخلافة العباسية ، فعزلت الخلفاء وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق . وملكوا مئة عام من ٣٢٢ هـ إلى ٤٢١ هـ حين انقرض ملكهم وهي السنة التي توفي فيها مسكويه ، ربيبهم ، وخازنهم ، ومؤرخهم بل صديقهم الذي عاش في نعمائهم وترعرع في قصورهم(١) فكان نعم الصديق الحكيم المشير .

تتلمذ على الرئيس أبو علي ابن سينا (توفي ٤٢٨ هـ ١٠٣٦ م) ولم يقدر الرئيس مواهبه ، وليس هو بأول نابغة يخيب ظن الأساتذة فيه . وقد ذكره الرئيس في بعض كتبه قال « فهذه المسئلة حاضرت فيها أبا علي بن مسكويه فاستعادها كرات وكان عسر الفهم ، فتركته ولم يفهمها على الوجه » . هذا معنى ما قاله ابن سينا لأني كتبت الحكاية من حفظي (كذا يقول ابن القفطي في أخبار الحكماء ص — ٢١٧) .

أما أبو حيان في كتابه الامتاع فقد وصفه بقوله (وأما مسكويه ففقير بين أغنياء ، وغني بين أنبياء (١) ؟) (كذا) لأنه شاذ ، وإنما أعطيته في هذه الأيام صفو الشرح لإيساغوجي(٢) وقاطيغورياس(٣) من تصنيف صديقنا في الري(٤) (معجم الأدباء لياقوت ج ٥ — ص ٥) .

واتصل مسكويه بكبار أدباء زمانه ومنهم ابن العميد(٥) واتخذه هذا خازناً لكتبه كما ذكره أبو حيان في كتاب الوزيرين ، وراسل بديع الزمان الهمذاني(٦) وتدرج حتى صار خازناً للملك عضد الدولة بن بويه وكان مأموناً لديه أثيراً عنده وله مناظرات ومحاضرات ...

على أن مسكويه لم يكن أديباً بارعاً فحسب بل كان مؤرخاً ممتازاً فلقد ألف كتابه الشهير « تجارب الأمم » بلغ فيه إلى بعض سنة ٣٧٢ هـ وهي السنة التي مات فيها عضد الدولة بن بويه صاحبه وهو كتاب جميل كبير يشتمل على كل ما ورد في التاريخ مما أوجبته التجربة وتغربط من فرط وحزم من استعمل الحزم(٧) .

ولم تقتصر جهوده على الناحيتين الأدبية والتاريخية بل كان « فاضلاً في العلوم الحكمية متميزاً فيها خبيراً في صناعة الطب جيداً في أصولها وفروعها وله من الكتب كتاب الأشربة وكتاب الطبيخ(٨) » .

ويقول عنه ياقوت في معجم أدبائه(٩) (ويظهر أنه كان

(*) أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه (أو ابن مسكويه) الرازي الأصل ، الأصفهاني المسكن والخاتمة ، كان مجوسياً فأسلم .

(١) الفخري ص ٢٤٩ — ٢٥١ .

(١) كذا في الأصل ولعله قصد وغبي بين أنبياء .

(٢) المدخل إلى كتاب المنطق لأرسطو .

(٣) هو أحد كتب أرسطو المنطقية الثلاث ، وهي قاطيغورياس ، وباري أرميناس ، وأنولوطيقا .

(٤) هو أبو سليمان المنطقي ، كان ممتزلا من أصحاب أبو حيان التوحيدي

(٥) الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهي صاحب طريقة الشعر المنثور توفي ٣٦٠ هـ .

(٦) أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة . نشأ بهمذان ونبغ في الأدب توفي (٣٩٨ هـ)

(٧) طبعت الجزء الأول لجنة جب . كما طبع الجزءان الخامس والسادس منه .

(٨) طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (ج ١ — ٢٤٥) .

(٩) ج ٥ — ص ٥ .

مشغولا بطلب الكيمياء مفتوناً بكتب أبي زكريا وجابر بن حيان فلم يكن يلتفت لغير ذلك . وقد قطن العامرى الرى خمس سنين يدرس ويملى ويصنف ويروى ، فما أخذ مسكويه عنه كلمة واحدة ، ويظهر أنه ندم على ذلك وأنبه أصدقاؤه . ومع هذا فهو ذكى حسن الشعر ، نقى اللفظ ، ويظهر أنه كان بخيلاً) !

وقد ترك لنا صاحب الترجمة كتباً قيمة فى الأخلاق والتربية والفلسفة منها « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » و« كتاب تهذيب الأخلاق » فى التربية ، و «الطهارة فى تهذيب الأخلاق» و« الفوز الأصغر » و « لغز قابس » وكتاب « الفوز الأكبر » و « كتاب ترتيب العادات » الخ .

وله وصية أنهاها بهذه التذكرة وهو يدعو للعمل بموجبها ، وهى تشتمل على أرقى المثل العليا وأسماها ، ونلخص لنا فلسفته فى الحياة ومذهبه فى السلوك . وهى خمسة عشر باباً :

١ — إيثار الحق على الباطل فى الاعتقادات والصدق على الكذب فى الأقوال والخير على الشر فى الأفعال .

٢ — كثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائم بين المرء وبين نفسه ...

٣ — والتمسك بالشريعة ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى ينجزها . وأول ذلك ما بينى وبين الله جل وعز .

٤ — وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال[1] .

٥ — ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك .

٦ — والصمت فى أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل .

٧ — وحفظ الحال التى تحصل فى شيء حتى تصير ملكة ولا تفسد بالاسترسال .

٨ — والأقدام على كل ما كان صواباً .

٩ — والإشفاق على الزمان الذى هو العمر ليستعمل فى المهم دون غيره .

١٠ — وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغى .

١١ — وترك التوانى ، وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد اتلا يشتغل بمقابلتهم ، وترك الانفعال لهم .

١٢ — وحسن احتمال الغنى والفقر ، والكرامة والهوان بجهة وجهة .

١٣ — وذكر المرض وقت الصحة ، والهم وقت السرور ، والرضا عند الغضب ، ليقل الطغى والبغى .

١٤ — وقوة الأمل وحسن الرجاء .

١٥ — والثقة بالله عز وجل وصرف جميع البال إليه .

هذه الشخصية النابغة ، قد تركت لنا آثاراً خالدة فى الأدب والتاريخ ، والكيمياء والطب والحكمة والأخلاق والفلسفة ، تشتمل على ناحية مجهولة لم يشر إليها الكتاب قبل الآن على ما نعلم ، تلك هى ناحية القصص .

فقد جاء فى أخبار الحكماء لابن القفطى[2] ، أن من تصانيف ابن مسكويه كتاب أنس الفريد وهو أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار والفوائد اللطاف . ويصف لنا ياقوت فى معجم أدبائه هذا الكتاب النادر[3] فيقول « كتاب أنس الفريد ، مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً وحكماً وأمثالاً غير مبوب » .

وقد لفت نظرى هذا الكتاب ، وخصوصاً وإن ابن القفطى يقول عنه أنه أحسن كتاب صنف فى الحكايات القصار ، والفوائد اللطاف .

ولما كان هذا النوع من الأدب العربى نادراً أخذت أفتش عن هذا الكنز الضائع فى مكتبات فلسطين ومصر ، والآستانه وإيران الخ . واستعنت بقناصل تلك الدول وحكوماتها ولكن جهودى المتكررة لم تثمر مع الأسف حتى الآن .

إن الذى يكتشف لنا « كتاب الأنس الفريد» لابن مسكويه الخازن إنما يعثر على كنز ثمين ، ويضيف ثروة أدبية قيمة إلى تراث السلف الصالح .

أحمد سامح الخالدى

(١) استرسل فى الكلام انبسط فيه واسع ، وإليه ، انبسط إليه واستأنس ...

(١) ص ٢١٧ .
(٢) ج ٥ ، ص ٥ .

اطلب كتاب
مبادىء فى القضاء الشرعى

توبة المحروم ! ...

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

بقي في « نيويورك » يكدح وراء الرزق الشرود عشر سنين دأباً ، ثم أصاب حظاً سعيداً بعد نحس ، وارتجع[1] مالاً كثيراً بعد بؤس ، فعاد — وهو على عتبة الأربعين — إلى مسقط رأسه (الميناء)[2] بلدتنا الهادئة المنعزلة التي توشك ألا تسمع فيها الاجمال الطبيعية ، وألا تحفظ لها ألا الاستعصام بالتقاليد .

وما جداك أن أصف لك « ميناءنا » الجميلة ، فما أراك راغباً في الوقوف على ما صنع الغنى بصاحبنا الذي أوى إلى بلدته بعد غيبة طويلة ؟ فهل غردت له بلابل السعادة أغاريدها الحلوة ، وهل هتفت له هتافها النساعمة ، أم نعبت له غربان الحوادث بشقاء جديد ، ولاعت قلبه بهوان شديد ؟

* * *

علمت أنه كان في « ميناءنا » قبل أن يتسع رزقه ويرفه عيشه مضرب المثل في قناعة العفيف ، وعزة الشريف ، سليم الفطرة معتدل المزاج حنيف الدين ؛ فرجوت ألا ينقلب سهوان عن ماضية ، ووددت لو أبقت يد غناه على ذكرى فقره فلم تمح صورتها من مخيلته ، ولم تبدد آثارها في فؤاده ، ولم تمر شجرتها أمام عينيه ، وتمنيت أن يكون له من صدق الأريحية وكرم المهزة ما يذكره بالفقراء والمعوزين الذين لا عمل لهم في بلدتنا إلا في البحر ، فلا يحرمهم من صدقات يوزعها ، أو زكوات يؤديها ، أو ثمرات يجنيها ، أو مشروعات يحييها ، أو مصانع يؤسسها ، أو مدارس يفتتحها ، أو ملاجىء ينشئها ، وألا يكون المال قد أطغاه ، وختم على قلبه فأعماه !

ولم يكن رجائي إلا كرجاء الذي أراد أن يشم الريحانة فألفاها ذابلة ، فما رضخت يده خيراً ، ولا اصطنعت معروفاً ، ولا كسبت ممدوماً ، ولا أعانت في نائبة ، ولا ساعدت في خطب ، وإنما نثرت المال على الهوى يمنة ويسرة ، وفي الشهوة عيثاً وبكرة ، حتى عادت صفراء خالية ، وباتت على إسرافها باكية ...

* * *

أبطره الغنى فعلمه العجب ، وأفسده الفراغ فحبب إليه الطيش فأصبح سكران لا يصحو ، هيمان لا يبي ، « غفلان لا يفيق »[1] ، وأضحى لا يجفل في الناس أحداً ، ولا يقيم لكبير وزناً ، ولا يرعي لصغير حرمة ، ولا يرقب في ضعيف إلا ولا ذمة ، وإنما كان ينظر إلى الجميع نظرة الفيل إلى البعوض أو الجمل إلى النمل ، «لايحس منهم من أحد ولايسمع لهم ركزاً»

ومنذ ذلك الحين أمسى أهل بلدنا إذا أرادوا أن يصفوا الرجل الشهوان الذي ما ينفك يوبق جسده برغائبه ، ويدسي نفسه بمعايبه ، قالوا وهم يتخافتون : أهو أشد من فلان شهوة ، وأكثر منه جهالة وصبوة ؟ !

وأنى لهم السكوت على مآثمه التي جرها عليه بذخه وسرفه ، ولهوه وعبثه ، وإنه لم يكتف ببنات الهوى يركبن سيارته الفخمة ، وينتقل بهن في شوارع البلدة المحافظة تحت الأسماع والأبصار ، ولم يقنع بالخمرة يتهالك على شربها آناء الليل وأطراف النهار ، ولا بالموائد الخضر يزدها غير ملول ، ولا بالليالي الحمر يواصلها غير خجول ، ولا بداره التي استحالت نادياً للأشرار ، ولابشقافه مع الأبرار والفجار ، وإنما راح يكال جميع ذلك بشرفه يدوس عليه ، وبعرضه يفرط به ، وبدينه يقصر فيه ، وبوطنه يحقره ، حتى أضحى شعور الناس لا يأتلف إلا على مقته ، وباتوا من كرههم له يدبرون في أفواههم ألسنة حداداً تلعنه ، وينظرون صيحة القدر الراصد تأخذه وهو يعمه في طغيانه ، ويتباهى بعدوانه ...

* * *

ولم يطل امهاء الله له واستدراجه ، فما مضى عام واحد على طيشة ولهوه حتى خر من سقفه المرقوع ، وتهاوت من شجرته الجذوع والفروع ، وغدت جنته الفينانة ذابلة الورود ، ميتة الأعشاب ، ساكتة البلابل ، فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها

---

(١) جمع .

(٢) الميناء أسكلة على شاطىء البحر في مدينتنا طرابلس الشام .

(١) أذكر أني رأيت لأستاذنا الزيات مثل هذا التعبير .

الشعر في السودان

للأستاذ علي العماري

(تتمة ما نشر في العدد ٧٨٧)

يقول الدكتور زكي مبارك في تقدمته لديوان الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير : « فما في بلاد الله مسلمون أصدق من مسلمي السودان ، والإسلام قوة روحية سامية لا يمن الله بصفائها على غير المصطفين من عباده الأصفياء . يضاف إلى ذلك أنه عند السودانيين فضيلتين جوهريتين : فضيلة الكرامة ، وفضيلة العدل ، وتتمثل الأولى في اعتزازهم بأنفسهم اعتزازاً هو الغاية في شرف النفس ، أما الفضيلة الثانية فتتمثل في صدق المعاملات ؛ فمن النادر جداً أن يحتاج من يعامل تجارهم الكبار إلى الاستعانة بالقضاء » . ثم يقول : « المسجد في السودان هو المسجد ، ورواده هم المؤمنون ، ومسلمو السودان هم البقية الصالحة من رواد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن أجل هذا أغناهم الله بالمعاني ، وأنزلهم منازل الكرماء » .

وأنا أعرف أن الدكتور زكي لم يهبط أرض السودان ، ولم يقع نظره ومسامعه بمظاهر التدين عند مسلمي السودان ، وإني محدثه — لو كان يسمع الآن ويقرأ — حديث الخبير ، فما راء كمن سمع :

التدين في البلاد السودانية ظاهرة واضحة بارزة تراها في كل ما تقع عليه عيناك ، فالأمانة الطبيعية غير المتكلفة ، والأمن في الأنفس والأموال ، وهذه الصلوات الخمس التي تقام جماعات في أوقاتها ، في الأسواق العامة ، وأمام حوانيت التجار ، وكم ملأني غبطة وإعجاباً منظر المصلين في ساحة المحطة الوسطى بأم درمان ، أو أمام حوانيتهم ، يؤمهم أحد التجار ، وهم بملابسهم البيض النقية خاشعين خاضعين لله ، ثم الكرم الذي لا حد له ، والإجلال لعلماء الدين ... كل هذه مظاهر محببة للتدين العميق في نفوس القوم

ويظهر هذا التدين بصورة واضحة في شغف السودانيين بالمدائح النبوية ، فهي أناشيدهم يترنم بها عالمهم وجاهلهم ، ويستمعون إليها ، ويستمتعون بها ، وربما كان من المألوف إذا دعيت إلى

وهي خاوية على عروشها ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحداً »

وصار الناس منه على شفا الحاقدين ، فما أدركت الشفقة عليه أحداً سواي — لا لأني أقرب رحماً ، ولا لأني ألين قلباً — وإنما لشعور عنيف تملكني يومئذ وأخذ يهتف بي بلا انقطاع :

إن هذا لضحية ! ولكن ويح نفسي إن بك مثل هذا الشهوان ضحية ، فمن الجزار الذي ضحاه ، وأين الساطور الذي ذبحه ؟

وما عرفت الجواب إلا حين جمعني بهذا المخلوق صلاة الجماعة فرأيته يدخل أول الناس ويبقى في تضرع واستغفار آخر الناس ، فراعني مظهره وعجبت له فدنوت منه وقد استبد بي الفضول ، ولم يحوجني هو إلى مقدمة لا تجدي فقد فهم غرضي فالتفت إلي وكأنما شمر نحوي بالاطمئنان وحدثني وهو يشرق بالدمع حديثاً كشف عني الغطاء ، فصار بصري فيه حديداً ، وحكمي عليه سديداً .

* * *

وقلت لصاحبي وأنا أصف له الرجل :

— « إنه لضحية يا صاح ، بيد أنه ضحية نفسه وهواه ، فنفسه كانت جزاره الذي ضحاه ، وهواه كان ساطوره الذي ذبحه ، فهو في أيام فقره وبؤسه كان قانعاً قناعة الحروم ، وفي أيام غناه وسعده كان بطراً بطر المنهوم ، وهو لولا استغناؤه لما طغى ، ولولا تخمته لما ثارت شهواته فبغى !

وهكذا الإنسان يا صاحبي يقوده الطمع فيردى ، وتعميه الشهوة فيخزى ، ويسمع بالعبرة فلا يخشى » !

* * *

ولكن هذا الرجل وعدني في بيت الله وهو ما زال عبران أن يتوب ، ولست ارتاب لحظة في أنه قد أناب ولكني أتساءل ما تنفع التوبة إذا لم تكن إلا في ساعات الحاجة والحرمان ؟

(طرابلس الشام) صبحي إبراهيم الصالح

وليمة أن يكون من تتمة الإكرام أن تسمع (مديحاً). والمداحون منهم المحترفون، وهؤلاء يدعون في المجتمعات العامة وفي المناسبات الدينية، كليلة الإسراء، أو ليلة القدر، وكثير من البيوت — هنا — تحيي ليالي رمضان بالمديح، ومنهم من دفعته رغبة شخصية، وآنس من نفسه جمالاً في الصوت، وقدرة على التنغيم والتلحين، وهؤلاء — يمدحون — غالباً في المجالس الخاصة. والمدائح — في أكثر الأحايين — بالشعر الذي قيل في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمداحون يعتمدون اعتماداً كبيراً على (المجموعة النبهانية) كما يعتمد أهل الحلات والبوادي على أشعار عامية هي غاية في جودة المعنى، وحسن الأداء، ولها تأثير قوي، يهز المشاعر، ويحرك العواطف، وأشهر هذه المجموعات (ديوان أبي شريعة)، ولهذا الديوان ميزة أخرى، ذلك أنه وثيقة هامة لمن يريد أن يدرس اللهجات العامية في السودان، ونصيحتي لكل من يريد أن يعالج هذا البحث أن يدرس هذا الديوان، وأن يدرس (طبقات ود ضيف الله) فإن فيهما غناء أي غناء في هذه الناحية.

ولا يفوتني أن أذكر أن المداحين المحدثين قد أخذوا ينحرفون عن إنشاد المدائح النبوية، ولكنهم لم ينحرفوا كثيراً، فهم يتغنون بالقصائد التي تتصل بالعروبة والإسلام، كأندلسية شوقي، ورثاء حافظ للشيخ محمد عبده، ووقفة على طلل لفنيم، وإن كنت سمعت في أيام العيد مداحاً يتغنى بقصيدة المتنبي (من للجآذر في زي الرعابيب). وقد — والله — أجاد، لكنه ساءني جداً حين طلبت إليه أن يسمعنا مدحة نبوية، فقال إنه لا يحفظ من هذا النوع شيئاً.

ذكرت هذا كله لأمهد به للحديث عن غرض من أغراض الشعر في السودان، هو غرض غالب ذائع، ذلك هو المدائح النبوية، وإذا كنت في مقالي السابق قد وصفت الشعراء بالتقليد للشعر القديم، فإني أقرر هنا أنهم أصلاء في هذا الغرض، وإن كل ما قالوه عن شعر فيه، فهو استجابة لعواطفهم الدينية، واستجابة لبيئاتهم التي أسلفت الحديث عن مظاهر تدينها، ولم أقرأ لشاعر هنا لم يجعل أكثر شعره في المدائح، وإن منها لشعراء نظموا دواوين كاملة في هذا الغرض كديوان (روض الصفا في مدح المصطفى) للعالم الكبير الشيخ أبي القاسم.

ولم يفت الشعراء أن يتحدثوا عن تدينهم، واعتصامهم بالله، وبعدهم عن طرق الغواية والهوى، وحبهم في مديح الرسول، وارتياحهم له، يقول الشيخ الطيب أحمد هاشم:

إن سار غيري للهوان وللهوى ... فإلى العلا والمكرمات أسير
أو سامر الناس الحسان جهالة ... فسميري القرآن والتفسير

ويقول الشيخ علي الشامي:

إن طال ليلي فطول الليل يؤنسني ... إن كان غيري طول الليل يضجره
فإن لي في ظلام الليل مؤثرة ... هي الصلاة إلى المولى فتقصره

ويقول الشيخ مجذوب جلال الدين[1]:

إني لمن معشر كانت شمائلهم ... محبة المصطفى في السر والعلن
يلين قلبي لذكراه إذا تليت ... ويقشعر إذا ما رتلت بدني

كما لم يفتهم أن يتحدثوا عن زهدهم في الدنيا، ورضاهم فيها بالقليل، وحثهم الناس على القناعة، والبعد عن سفاسف الأمور وصغائرها؛ وهذا شاعر قديم عاش في السودان منذ قرنين من الزمن هو الشيخ فرح تكتوك، يقول صاحب (شعراء السودان)[2] في ترجمته: «هو ولي صالح، وشيخ من الشيوخ التقاة وشاعر من كبار الشعراء، له من صفاء سيرته وسريرته ما يشهد بصلاحه وتقواه، وهو من قبيلة عرب البطاحين المشهورة في السودان، له في الحكم آيات بينات، وقصائده كلها في الوعظ والإرشاد، قلما ينظم في موضوع آخر إلا ما دعت إليه الضرورة». ومن شعره:

يا واقفاً عند أبواب السلاطين ... ارفق بنفسك منهم وتحزين
إن كنت تطلب عزاً لا فناء له ... فلا تقف عند أبواب السلاطين
واعلم بأن الذي ترجو شفاعته ... من البرية مسكين ابن مسكين
خل الملوك بدنياهم وما جمعوا ... وقم بدينك من فرض ومسنون

---

(١) هو حفيد الولي الشهور بالدامر، وهو شاعر رقيق، وهو يرجع سبب نبوغه في الشعر إلى أساتذته المصريين، ويتحدث عنهم في كل مناسبة، ويشيد بفضلهم، ولا سيما الشيخ عبد الرءوف سلام.

(٢) مجموعة وضعها الأستاذ سعد ميخائيل، تذكاراً لإقامته في السودان، واعترافاً بالجميل، وبالأخلاق الكريمة التي نعم بها أثناء إقامته في السودان، وقد ترجم فيها لكثير من شعراء السودان، وحلاها بصورهم، وذكر مختارات من أشعارهم.

واستغن بالله عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
مالى أذل لمخلوق وأسأله ... ولو سألت الذى أعطاه يعطينى
فلقمة من طعام البر تشبعنى ... وجرعة من قليل الماء تروينى
وقطعة من قليل الثوب تسترنى ... إن مت تكفننى أو عشت تكسونى

وقد تناولت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكثر القصص التى ذكرت فى السير ، كما تناولت تمجيده وتمجيد أصحابه رضوان الله عليهم ، وتتزاحم علينا الأشعار حين نريد أن نختار منها فلنكتف بقليل من كثير .

تناول الشاعران عبد الله حسن الكردى ، وجلال مجذوب قصيدة الإمام البرعى التى مطلعها :

خل الغرام لصب دمعه دمه ... حيران توجده الذكرى وتعدمه

فخمساها تخميسين أعجبانى غاية الإعجاب ، وبهذه المناسبة أقول أن التخميس والتقطير من الأمور الشائعة فى الشعر السودانى ، فمن تخميس الشيخ المجذوب :

يا من تطاول فى وصل تنعمه ... ونام ملء جفون العين نومه
أهنأ فما أنت صب القلب مغرمه ... (خل الغرام لصب دمعه دمه
حيران توجده الذكرى وتعدمه)
شتان بين سمير الليل ساهره ... ونائم غط من بدء لآخره
أتعذل الصب يشكو بُعد هاجره ... (عذلته حين لم تنظر بناظره
ولا علمت الذى فى الحب يعلمه)

وينتهى من هذا الغزل إلى المديح فيقول :

لا تستوى فى المدى الأنوار والظلم ... ولا السميع كمن فى أذنه صمم
أتاهم المجتبى شمساً وعنه عموا ... (حال السها غير حال البدر لو علموا
بل أهل مكة فى طغيانهم عمهوا)
يا ضيعة العمر يا عظمى خسارته ... إن لم أشد رحالى نحو دارته
ما كل موصى وفىٌّ فى سفارته ... كم أستنيب رفاقى فى زيارته
عنى ، وما كل صب القلب مغرمه)

ويقول الكردى :

أهوى النبى وأرجو من كرامته ... خيراً ، وأطمع فى عقبى شفاعته
ومن صبابة قلبى فى مقامته ... (كم أستنيب رفاقى فى زيارته
عنى ، ، وما كل صب القلب مغرمه)

ويتصل بهذه المدائح شعر كثير فى ذكرى المولد النبوى ، وفى ذكرى الهجرة ، وفى ذكرى غزوة بدر ، وفى المناسبات الإسلامية المختلفة ، وليس أدل على سيادة هذا الغرض وقوته ، من أن شعراء غير مسلمين يقولون فى الأغراض الإسلامية ، ومن ذلك قصيدة الشاعر صالح أفندى بطرس فى الحث على العناية بجامع أم درمان ، ومنها :

يا مسجداً مطلت بنوه بعهده ... حتى غدا وهو الحسير المدمم
بدأوك جوداً بالصنيع وأحجموا ... ما كان أولى أن ذاك يتمم
بينا تشيد إذ وقفت كأنك الطـ ... ـلل المحيل عفاه هام مرهم
أترى المساجد فى القديم تشاد فى ... أبهى الشكول فمذهب ومرخم
وتراك تعجزهم بأن تبنى بآ ... جر وتسقف (بالمروق) وتردم

على العوارى
مبعوث الأزهر بالمعهد العلمى بأم درمان

محمود الخفيف
مؤلف أحمد عرابى ، وإبراهام لنكولن

يقدم

تولستوى

قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه

اقرأ فى تفصيل رفيع : حياته وفلسفته فى الدين والاجتماع والسياسة

ثم اقرأ : خلاصات وافية ونقدا مفصلا لقصصه الكبرى والصغرى وفى مقدمتها : « الحرب والسلام » و « أنا كارينينا » و « البعث »

واقرأ : كيف كان شهيد الإنسانية غاندى تلميذاً « لتولستوى » ومنفذاً لمبادئه ؟

أصدرته أخيرا فنيا مطبعة الرسالة

يطلب من دار الرسالة وثمنه ٤٠ قرشاً عدا البريد

عالم الغيب :

الجن فى منطق الأساطير

للشيخ محمد رجب البيومى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

أما العامل المادى فقد كان ذا أثر ملموس فى شيوع الخرافات حيث كانت البادية مورداً تجاجاً لما انتشر على الألسنة من الأساطير وطالما وفد إليها المتندرون والمتظرفون ، يستملون ويستنبؤن . وإن أحدهم ليصحب البدوى إلى حاضرته ليقص على أصحابه وذويه ما يتقنه من الترهات إزاء أجر ثمين ، وطبيعى أن يلجأ الأعرابى إلى الافتعال ، لتنفق بضاعته ، فتملأ حقيبته ، وهنا يطلق لخياله العنان فيزعم أنه رأى الشيطان مرة فاستضافه وأنشده الشعر ، ومرة أخرى لحاربه وصرعه ، وكلما كان البدوى شديد المبالغة فى حديثه كان أخف موقعاً فى القلوب ، وأسلس مقادة للعقول ، فإذا أخذ نصيبه المادى ورجع إلى خيمته عكف على اعتمال الأباطيل ليكون على أتم استعداد إذا طلب مرة أخرى للسمر والاستمتاع ! !

ويجدر بنا أن نشير إلى ما شاع لدى العرب من تأثير الجن فى الأجسام ، فإذا مرض منهم مريض لجأوا إلى العرافين ومن بقى من ذوى الكهانات ، وهؤلاء لا يرعون فى الناس حرمة أو ذمة بل يجسدون الأوهام ، ويبلبلون الخواطر ، فيزعمون أن بالمريض مساً يجب أن يتدارك ، ويطلبون الأجور المرتفعة جزاء ما يقررون من التعاويذ الكاذبة ، وما يصنعون من الرقى الباطلة . وقد يعشق البدوى فتاة تنتزع فؤاده من أضالعه ، وتخطف عقله من رأسه ، فيأتى به ذووه إلى العراف فيلجأ أيضاً إلى التمائم والتعاويذ ، وكأنه يرى مريض القلب لا يختلف عن مريض الجسم ، فيجعل الدواء واحداً لكلا الرجلين ، وقل فى الجهالة ما تشاء ! !

وقد يبالغ بعض العرافين فيزعم أن الجن تعشق الإنس عشقاً مبرحاً وأن الجنية تلاقى الصد والتيه ما يلقاه الإنسى ، فإذا تمكنت الصبوة من فؤادها ، سلب رشادها ، وتبددت قوتها ، فيمر بها قومها من الجن فيسألون عنها ، فيقال مسها إنسى كما يقال لمن صرع من الإنس مسه جنى ، والطبيب فى كلتا الحالتين هو العراف الأثيم ! !

ولا يترك الفقهاء هذا الباب حتى يؤيدوه بما يمن لهم من الأدلة ، ونحن نعلم الخلاف العريض بين أهل السنة والمعتزلة فى الصرع والمس حيث قد ذهب الفريق الأول إلى حدوث ذلك ، وقد استشهدوا بحديث رواه البخارى ، كما أجاز بعض الحنفية زواج الجنية من الإنسى ! ! قال الجاحظ « وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى وشاركهم فى الأموال والأولاد ؛ وهذا ظاهر لأن الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الإنس على جهة العشق فى طلب السفاد ، وكذلك رجال الجن لنساء الإنس ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء . قال تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ، ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه ، لما قال الله تعالى ذلك القول »

وهذا قول لا يدرى حقه من باطله ، وإلا فكيف نقول لمدنف عاشق يهوى فتاة معنية باسمها وصفتها إن به مسا من الجن ! ! ولماذا يزول المس إذا اقترن بمحبوبته الإنسية ؟ وأين الجنية المزعومة إذن ؟ كل هذا تدجيل صارخ فطن إليه من قال .

وقالوا به من أعين الجن نظرة ولو علموا قالوا به أعين الإنس

وكم فى الحياة من أكاذيب ! !

بقى أن نتحدث عن العوامل الأخلاقية ، وهى ذات الحظ الأوفر فى اختلاق الأساطير ، لأنها ترجع إلى عامل واحد ، هو الافتخار بالمواهب ؛ وقد شاع لدى العرب أن الجن متقدمون عن الإنس فى كل شىء ، فهم مصدر الإلهام فى الشعر ، ومنبع الوحى فى البيان ، وهم أولو البأس فى القتال والصيال ، وهم سلاطين الصحراء وأمراؤها ، يستأذنون فيأذنون ، ويأمرون فيطاعون . كل أولئك قد جعل أصحاب الزهو والخيلاء يزعمون أنهم يفوقون الجن فى مواهبهم ، ويزاحمونهم بمنكب ضخم فى مناقبهم ، وما من دليل سوى الأساطير المزعومة يخلقها أولو الفخر الكاذب فيتناقلها الناس على ممر العصور ! !

فالشاعر مثلاً يرى أن منزلته لا تعظم فى قبيلة لا إذا زعم أن الجن تلهمه ومن ثم يتجه إلى وادى عبقر كل يوم حيث يصمد إليه

الوحى من الأرض ، بدل أن يهبط عليه من السماء ! ! ونحن ننظر فنجد ذا الرمة وأبا النجم ، ورؤبة والأعشى وغيرهم يدعون أقرانهم من الشياطين ، هم ناظمو القصائد ومبدعو المعانى والأساليب ، وربما سمى الشاعر قرينه باسم معين ، وذهب يفتخر به فى كل ناد ، كما قال الأعشى فى قرينه « مسحل »

وما كنت شحذوذا ولكن حسبتنى
إذا مسحل يسدى لى القول أعلق

شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان ، إنسى وجن موفق

وصحائف الأدب ملئية بما يماثل ذلك ، وربما كان أصل هذه الفكرة لدى العرب أن شاعراً حسد زميله فى إبداع ، فأدعى أن الشيطان هو الذى يجرى البيان على لسانه ، وفى جمهرة أشعار العرب أساطير تؤيد ما نقول ، ومن ذلك ما زعمه ابن الرزوى عن أبيه أنه مر على جماعة ظباء فى سفح جبل ، فرآى شبحاً ذا منظر غريب فارتاع منه ، فقال له اذكر الله ولا تخف ثم سأله : أتروى من أشعار العرب شيئاً ؟ فقال المرزوى : نعم وأخذ يروى له شعر عبيد بن الأبرص ! ؟ فسأله الشيخ من قائل هذا الشعر ؟ ؟ فقال : عبيد ، فتهانف وقال : ومن عبيد ، لولا صاحبه هبيد ؟ ! ثم شاعت بهذه الخرافات فكرة الأخذ عن الجن فكان كل شاعر يأتى بعد ذلك يزعم أن له قرينا ، بل ربما ميز شيطانه بخصائص لا توجد فى غيره ، كما زعم أبو النجم وشركاؤه . وأتى من الزاوة من بسط الحبل على امتداده ، فقيض لكل شاعر أنجبته الجاهلية شيطاناً فهوله قرين ، وإن لم يعترف به الشاعر نفسه ، فلاقط قرين امرئ القيس ، وهاذر صاحب النابغة ، وجهنام شيطان عمرو بن قطن وغير هؤلاء لا يحصون ! !

هذا فى الشعر والأدب ؛ أما الافتخار بالشجاعة فقد أورث العربية تركة مثقلة بالخرافات ، فكل سعلوك يزهى ببسالته ، ويختال ببطشه ، يختلق من الأساطير ما يؤيد دعواه ، فيزعم أنه حارب الجن ، ولقى السعلاة فضربها بسيفه ، وامتطى الغول فى البيداء ، وقد زعم صاحب الأغانى أن ثابت بن جابر لقى الغول فى ليلة دامسة ، فأخذت عليه الطريق ، فلم يزل بها حتى قتلها وبات عليها ، فلما أصبح حملها تحت إبطه وجاء بها إلى أصحابه فقالوا له لقد تأبطت شراً ، فلقب بهذا القول وعرف به لدى الجميع .

ومهما يكن من شىء فإن تأبط شراً قد أكثر من الحديث عن الجن إكثاراً لم يتح لغيره . وكأنه رآى فى انتصاره الموهوم على الغول ما يبرر له كل اختلاق ، فذكر فى شعره محاورة قامت بينه وبين غول ضربها ضربة واحدة بسيفه ، فقالت له : ثن الضربة ، فأبى كيلاً تعود لها الحياة إذا ضربت مرة ثانية حسب اعتقاده ، كما زعم أنه قابل وفداً من الجن فأشعل النار ونحر الذبائح ودعاهم إلى الطعام ، فذكروا أنهم يحسدون عليه الإنس فهم لا يأكلون كما نأكل ، اسمعه يقول من أبيات .

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
فقلت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الإنس الطعاما
لقد فضلتمو بالأكل عنا ولكن ذاك يعقبكم سقاماً

وقد ابتلى تأبط شراً بمن كذب دعواه ، فزعم أنه نزل بشعب وادى الجن فرأى وجوها صباحاً وسما ، فنحر لهم مطيته ليأكلوا من طيباتها الشهاة ، ذلك هو جذع بن سنان الغسانى إذ يقول .

نزلت بشعب وادى الجن لما رأيت الليل قد نشر الجناحا
أتونى سافرين فقلت أهلا رأيت وجوهكم وسما صباحاً
نحرت لهم وقلت ألا هلموا كلوا مما طهيت لكم سماحاً

وقد لا يكتفى المملوك بأن يفخر بنفسه بل يتعدى ذلك إلى قبيلته ، فيزعم أنها حاربت الجن ، فانتصرت انتصاراً رفعها إلى ذروة عالية من المجد . قال أحد الأفاكين من بنى سهم : ذهب جنى يطوف بالبيت فعرض له شاب من بنى سهم فقتله ، فثارت بمكة غبرة لم تبصر لها الجبال — وإنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن — فأصبح من بنى سهم على فرشهم موتى كثير من قبيل الجن ، فكان فيهم سبعون سيخاموى الشباب ، فنهضت بنوسهم وحلفاؤها إلى الجبال والشعاب بالثنية ، فما تركوا حية ولا عقربا ولا خنفساء ، ولا شيئاً من الهوام يدب على الأرض إلا قتلوه وأقاموا على ذلك ثلاثا ، فسمع فى الليلة الثالثة هاتف يهتف بصوت جهورى ، يا معشر قريش اعذرونا من بنى سهم فقد قتلوا منا أضعاف من قتلنا منهم فأصلحوا ما بيننا ، ففعلت ذلك قريش ، وسميت بنوسهم « قتلة الجن » .

وكثير من مسطرى هذه الأخبار — فى القديم — من يملأ

بها الصحائف دون أن يلفت الأنظار إلى مبانيها من الافتراء وكأنه يرى من الأمانة العلمية أن يذكرها كما تلقفها من الأفواه، أو نقلها عن الأسفار بدون تعليق يمنع الحق فى نصابه، بل لعله يتعصب لها تعصباً يترك القارىء فى شك من أمره، ولكن الحق لايعدم أنصاره فى كل زمان ومكان، فكما وجد جماعة من الفقهاء يشيعون لهذه الأساطير، فقد وجد منهم آخرون يفندونها أتم تفنيد، قال ابن حزم عن الجن: «ومن ادعى أنه يراهم أو رآهم بالفعل فهو كاذب إلا أن يكون من الأنبياء» وقال أبو إسحاق المتكلم فيما رواه عنه الجاحظ «وأصل هذه الفكرة أن القوم تأثروا بوحشة بلادهم، ومن أقام بالصحراء منفرداً استوحش وابتلى بالوسوسة، وتمثل له الشيء الصغير كبيراً، فإذا اشتملت عليه الغيطان، وسمع صياح بومة أو مجاوبة صدى، تصور فى نفسه كل باطل. وربما كان أحدهم كذاباً فيأتى بشعر يزعم فيه أنه رأى الغيلان وكلمها ثم يتجاوز ذلك، فيقول قتلتها، ثم يتجاوز ذلك فيقول رافقتها وتزوجتها» ويستفيض حديثه بين الناس فتسيل به الأندية والمجتمعات»!

هل عرفتم مصرع حرب بن أميه؟؟ فقد خرج فى نفر من قومه فاعترضتهم حية خبيثة فقتلها وكانت من الجن — فجاءت حية أخرى فطالبت بالثأر، وقام بين الفريقين معركة طاحنة قتل فيها حرب، ودفن حيث وافته منيته فقالت فيه الجن.

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

وهل علمتم أن سيد الخزرج سعد بن عبادة رضى الله عنه أصيب بسهمين خاتلين من الجن ففاضت روحه الكريمة إلى بارئها العظيم؟ ثم رثوه بعد ذلك بشعر نائح! وهل سمعتم أن الفريض غنى بالبادية صوتاً مؤثراً فحسده الجن وقتلوه!؟ وهل تدرون أن أمية بن أبى الصلت تعرض ليهودية من الجن، فبرص أعلاه واسود أسفله. هذا رذاذ من وابل هطال تتدفق به الأساطير!

إن فى هذه الخرافات لمتعة عجيبة، وأخشى أن أدعو إلى تذوقها تذوقا فنياً يكشف عن طرافتها الغريبة، فأجد — فى القرن العشرين — من يميل إلى تصديقها من الناس! ولم لا يكون ذلك والغباوة تسير مع الزمن فى خطوة السريع!

رحم الله أيام الطفولة، فقد ملأت مخيلتى بآلاف مؤلمة من هذه النوادر، وكدت أسمعها فى لذة ومتعة، فأترنح من السرور كمن مالت بقامته نشوة السلاف! فأين مضى هذا العهد الحالم، وكيف عصفت به ريح الزمان!!

أقرأ على الوشل السلام وقل له كل المشارب مذ هجرت ذميم

(الكفر الجديد) محمد رجب البيومى

المصادر الهامة للبحث

(١) روح المعانى للآلوسى
(٢) السيرة الحلبية لعلى بن برهان الدين
(٣) جمهرة أنساب العرب لأبى زيد القرشى
(٤) الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى
(٥) حياة الحيوان الكبرى للدميرى
(٦) الحيوان للجاحظ
(٧) تاريخ الأدب الجاهلى لأستاذى الجليل محمد هاشم عطيه
(٨) قصص العرب للمرحوم جاد المولى بك
(٩) التصوف الاسلامى للدكتور زكى مبارك
(١٠) مقالات متفرقة فى الرسالة والمقتطف

تاريخ الأدب العربى

للأستاذ الزيات

تقدمت الطبعة العاشرة من هذا الكتاب

أما الطبعة التى تباع الآن فى البلاد العربية

فاحترس منهـــا

انها طبعة مزيفة فيها النقص والخطأ والتحريف

والتشويه زيفها أمهر الكتبيين فى القاهرة

انتظر الطبعة الحادية عشرة قريبا

طبعة أنيقة صحيحة فيها زيادات كثيرة

ولاسيما فى العصرين العباسى والحديث

لفتوة فى اللغة وكتب الأدب

وحياة الفتيان فى الجاهلية وعصور الاسلام

نقص قواميس اللغة العربية وقصورها عن تحرير المعانى

للأستاذ ضـــــياء الدين الدخيلى

[تتمـــة ما نشر فى العدد الماضى]

والتقطف من ديوان الحماسة اختيار أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ، وقد شرحه الشيخ أبو زكريا التبريزى الشهير بالخطيب وكان تلميذاً للمعرى .

قال النابغة الجعدى (١) :

ألم تعلمى أنى رزئت محارباً فما لك منه اليوم شىء ولا ليا
(فتى) كملت خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

قال الخطيب فى شرحه أنه يخاطب صاحبته أم محارب وقوله ألم تعلمى : ظاهره تقرير ، وإنما هو توجع وتلهف على ما فاته من الرثى بمحارب ابنه .

وقال ابن أهبان الفقعسى يرثى أخاه (٢)

على مثل هام تشق جيوبها وتعلن بالنوح النساء الفواقد
(فتى الحى) إن تلقاه فى الحى أو يرى
سوى الحى أو ضم الرجال المشـــاهد
طويل نجاد السيف يصبح بطنه خميصاً وجاديه على الزاد حامد

قال الخطيب جادية الذى يجتديه ، ويطلب منه جعل الفتوة والرئاسة مسلمة له فى كل حال وعلى كل وجه ألا ترى أنه قال هو الفتى بين رجال الحى وعند اقتائك إياه فيهم وقوله أو يرى سوى الحي ، أى فى مكان آخر وفى قوم آخرين بدلا من الحى وقوله أوضم الرجال المشاهد معناه وهو الفتى إذا حصلت وفود القبائل فى مجامع الملوك وقال سلمة الجعفى يرثى أخا (٤)

أقول لنفسى فى الخلاء ألومها لك الويل ماهذا التجلد والصبر
ألم تعلمى أن لست ماعشت لاقيا أخى إذ أتى من دون أوصاله القبر

(١) ج ٣ ص ٥١ (٢) ج ٣ ص ٥٣ (٤) ج ٣ ص ٥٩

[فتى] كان يعطى السيف فى الروع حقه
إذا ثوب الداعى وتشـــق به الجزر
[فتى] كان بدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

قال الخطيب ثوب الداعى أى دعا واصل التثويب أن يكون الرجل فى مغازة لا يهتدى بها فيلوح بثوبه فربما رآه إنسان فيهديه وينجيه ثم استعمل فى غيره .

وقال سالم بن وابصة الأسدى (١)

أحب [الفتى] ينفى الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعى الصدر لا باسطاً أذى ولا ماتعاً خيراً ولا قائلا هجرا

وقال زياد بن حمل (٢)

كم فيهم من (فتى) حلو شمائله جم الرماد إذا ما أخمد البرم

قال الخطيب كم للتكثير وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى وجم الرماد كثيره ولا يكثر الرماد إلا لكثرة الماشية والأضياف والبرم الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر (نوع من القمار) والمراد إذا أخمد البرم النار ابخله .

وقال العريان (٣)

ورحت إلى دار امرىء الصدق حوله
مرابط أفراس وملعب (فتيان)
ومنحر مثناث يجر حوارها وموضع إخوان إلى جنب إخوان

قال الخطيب : وملعب فتيان ، لأنهم يجتمعون عنده لسخائه وقوله : يجر حوارها ، لأنها تجزر وهو فى بطنها فيجره من بطنها وروى فى الحماسة (٤) ولم يذكر قائلهما :

وليس (فتى الفتيان) من جل همه صبوح وإن أمسى ففضل غبوق
ولكن (فتى الفتيان) من راح أو غدا
لضرٍّ عدوٍّ أو لنفع صـــديق

وقد اعترض علينا الأستاذ محمد عبد القادر ، حيث أننا لم نذكر القائل وقد استشهدنا بالبيت الثانى أخذناه من تاج العروس ولم يذكر قائل البيتين فى ديوان الحماسة إلا أن الخطيب التبريزى فى شرحه بعد أن قال الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب الحمرة فى العشى . روى الأصمعى أن أكثم بن صيفى قال : اصحبْ من

(١) ج ٣ ص ٨٥ من حماسة أبى تمام (٢) ج ٣ ص ١٨٢
(٣) ج ٤ ص ٨٤ (٤) ج ٤ ص ١٠١

الإخوان منْ إن صحبته زانك ، وإنْ خدمته صانك ، وإنْ اختللت عانك ، إن رآى منك حسنةً جازاكَ عليها ، أو سقطة أغضى لك عنها ، لا تختلف عليك طرائقه ، ولا تخشى بوائقه . ثم أنشد البيتين : وليس فتى الفتيان الخ . ومن هذا يتبين قدمهما وصحة الاستشهاد بهما .

وقال أبو كبير الهذلى (عويمر بن حليس أحد بنى سعد بن هذيل) (١)

ولقد سريت على الظلام بمغشَم جَلْدٍ من (الفتيان) غير مُثقل

قال : سرى وأسرى بمعنى واحد ، وعلى الظلام : أى فى الظلام ويجوز أن يكون وعلى الظلام فى موضع الحال أى وأنا على الظلام أى راكب له ، والمغشَم من الغشَم : وهو الظلم ، فإن قيل إذا كان السرَى لا يكون إلا ليلا ، فلم قال على الظلام ، ولم جاء فى القرآن الذى أسرى بعبده ليلا ؟ قيل المراد توسط الليل والدخول فى معظمه ، والجلد : الصلب القوى . وقوله غير مُثقل : أى كان حسن القبول محبباً إلى القلوب ، قال ، وقال أبو رياش (المغشم) الذى يغشم الأمور ويخلطها من غير تمييز ، وقيل المغشم ههنا : من إذا اختفى عليه الطريق اعتسف أى ركب الطريق على غير هداية ولا دراية .

وروى فى الحماسة لامرأة من طيىء (٢)

دعا دعوة يوم الشرى يا لمالك ومن لا يُجَب عند الحفيظة يكلم

فيا ضيعة (الفتيان) إذ يعتلونه ببطن الشرى مثل الفنيق المدمَّم

(الشرى مكان ، والحفيظة الغضب أى استغاث هذا الرجل بهذا الموضع فلم يجب ، وقولها يكلم : كناية عن الغلبة والقتل ، والعتل : القود بعنف ، يقال عتله يعتله ، ويا ضيعة الفتيان : لفظه لفظ النداء ومعناه الخبر كأنها قالت ضاع الفتيان جداً إذ كان أعداؤه يعتقون فى قودهم إياه وهو كأنه فحل مشدود الفم خوفاً من صياله ، والفنيق : الفحل ، والمدمَّم : المشدود الفم الهائج الممنوع ، وإنما يفعل به ذلك إذا هاج خوفاً من عضاضه .

وقال جابر بن ثعلب الطائى (٣) :

وقام إلى العاذلات يلمنى يقلن ألا تنفك ترحل مرحلا؟

فإن (الفتى) ذا الحزم رام بنفسه جواشن هذا الليل كى يتمولا

وتزوى بمقل المرء قلة ماله وإن كان أسرى من رجال وأحولا

(أى لا تزال ترتحل ارتحالا ومرحلا انتصب على المصدر وجواشن الليل صدوره وأوائله وأحواله أكثر حيلة) .

وقال أبو النشناش (١) :

فللموت خير للفتى من قعوده عديماً ومن مولى تدب عقاربه

(أى الموت خير للرجل من قعوده راضياً بفقره وبإفضال مولى يؤذيه بالمن ، ودبيب العقارب : كناية عن الأذى وانتصب عديماً على الحال .

وقال آخر :

إذا القوم قالوا من فتى العظيمة ؟ فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

فهذه النصوص الأدبية أظن أن فيها الكفاية لمن ارتاب فى دلالة فتى على الشهامة والفروسية ، ونود أن ننبه القارىء الكريم إلى أن الفتوة فى العصر العباسى كانت تطلق على اجتماع بعض المياسير على اللهو واللذات تجمعهم الملاهى والعبث والترف والسماع ، فقد وصف عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع حال الفتيان الذى كان يعاشرهم فقال (٢):

فى فتية بذلوا فى القصف ما ملكوا وأنفقوا فى التصابى العرض والنشبا

وجاء فى (نهاية الأرب) فيمن شرب الخمر واشتهر بها ، (ومنهم والبة بن الحباب الأسدى وهو الذى ربى أبا نواس وعلمه الفتوة وقول الشعر) ويفسر لنا أبو نؤاس تلك الفتوة التى درسها على والبة بقوله :

ما استكمل اللذات إلا فتى يشرب والمرد ندماه

هذا يغنيه وهذا إذا ناولهُ القهوة حيّاه

وقوله :

متيمُ القلب معناه جادت بماء الشوق عيناه

إن كان أبكاك الهوى مرة فطالما أضحكك الله

لا خير فى العاشق إلا فتى لاطف مولاه وداراه

ودافع الهجر وأيامه فالوصل لاشك قصاراه —

— (أى غايته)

(١) ج ١ ص ٤٢

(٢) ج ص ١١٣ من شرح حماسة أبى تمام للتبريزى طبعة بولاق

(٣) ج ١ ص ١٦١

(١) ج ١ ص ١٦٧

(٢) معجم البلدان ج ٤ ص ١٦٥

وروى النواجى فى حلبة الكميت أن أبا الهندى كان متهمكا فى الخمر مغرماً بالشرب ، ودخل حانة خمار فشرب عنده إلى أن غلب عليه السكر فنام ، ودخل جماعة (فتيان) فرأوه على تلك الحالة فقالوا للخمار ما حال هذا ؟ قال طيب العيش قالوا فألحقنا به فسقاهم حتى انتهوا إلى حاله فانتبه أبو الهندى فرآهم فقال للخمار ما حال هؤلاء ؟ فقال مبسوطون ، قال فالحقنى بهم ، فسقاه حتى لحق بهم ، وانتبهوا فقالوا مثل ذلك إلى أن مضت عليهم عشرة أيام ولم يلتق بعضهم ببعض ثم أنشد أبو الهندى :

ندامى بعد عاشرة تلاقوا تضمهم (الفتوة) والسماح
نقيم معاً وليس لنا تلاق بيت ما لنا منه براح

وجاء فى الأغانى[1] (وبعد وفاته كان الفتيان يجيئون إلى قبره ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره) وجاء فى مسالك الأبصار عن حانة عون (أن عوناً كان ظريفاً طيب الشراب نظيف الثياب وكان فتيان الكوفة يشربون فى حانوته ولا يختارون عليه أحداً)

وجاء فى حلبة الكميت قال السرى الرفا الموصلى :

وفتيـة زهر الآداب بينهم أبهى وأبهج من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشى الرخ فانصرفوا
يمشون من شربها مشى الفرازين

(فى المنجد الرخ طائر وهى كبير وأيضاً قطعة من قطع الشطرنج الجمع رخاخ ورخخة : وفرازين جمع فرزان وهى الملكة فى لعب الشطرنج)

وبدهى أن الفتوة فى النصوص الأخيرة لم تستعمل فى المعانى التى استعملت فيها إشعار الحماسة وغيرها التى تقدمت ، وإنما استعملت فى معنى الانتماس فى اللهو والسكر والسماع ، وقد نسب الثعالبى فى كتابه (الخاص للخاص) بيتين للأعشى أورد فيهما (فتى) فى ذلك المعنى فقال :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
لكى يعلم الناس إنى (فتى) أنيت المروءة من بابها

وقد أكثر فى الأغانى استعمال الفتوة فى هذا المعنى فقد جاء فى الجزء السابع[2] وكان الوليد بن يزيد من (فتيان بنى أمية) وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، وكان فاسقاً خليعاً متهماً فى دينه مرمياً بالزندقة وشاع فى أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل .

وعن الوليد أيضاً أنه أبلغه أن جماعة من بنى مروان يعيبونه بالشراب فلمهم وقال أنهم ليعيبون على ما لو كانت لهم فيه لذة ما تركوه وقال هذا الشعر وأمر عمر الوادى أن يغنى فيه وهو من جيد شعره ومختاره :

ولقد قضيت وأن تجمل لى شيب — على رغم العدا لذاتى
من كاعبات كالدمى وعناصف وسراكب للصيد والغزوات
فى (فتية) تأبى الهوان وجوههم ثم الأنوف حجاجح سادات
أن يطلبوا بترائهم يعطوا بها أو يطلبوا لا يدركوا بترات

وفيه[1] كان المذلى النقاش يغدو إليه (فتيان قريش) وقد عمل عمله بالليل ومعهم الطعام والشراب والدراهم فيقولون غننا الخ وقد قال فيه[2] فى التعريف بالمذلى هذا أنه سعيد بن مسعود كان ينقش الحجارة بأبى قبيس (جبل فى الحجاز) وكان فتيان من قريش يروحون إليه كل عشية فيأتون بطحاء يقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ويأتيهم فيغنى لهم ويكون معهم .

وفى الأغانى[3] أن وضاحاً هوى امرأة يقال لها روضة ، فذهبت به كل مذهب وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إياها وعاتبه أهله وعشيرته فقال فى ذلك :

يا أيها القلب بعض ما تجد قد يعيش المرء ثم يتئد
قد يكتم المرء حبه حقباً وهو عميد وقلبه كمد
ماذا تريدين من (فتى غزل) قد شفه السقم فيك والسهد ؟

حدث الأصمعى عن الخليل بن أحمد أن وضاحاً كان يهوى امرأة من كندة يقال لها روضة .

وجاء فى الأغانى[4] عن اسحاق بن ابراهيم الموصلى عن أبيه قال : دخلت الرى فكنت آلف (فتياناً) من أهل النعم وهم لا يعرفونى فطال ذلك علىّ إلى أن دعانى أحدهم ليلة إلى منزله فبت عنده فأخرج جارية له ومد لها ستارة فتغنت خلفها فرأيتها صالحة الآداء كثيرة الرواية فشوقتنى إلى العراق وذكرتنى أيامى بها فدعوت بعود فلما جىء به اندفعت فغنيت صوتى فى شعرى .

(١) ج ٢ ص ١٧٩ (٢) ج ٥ ص ٧٧

(١) ج ٥ ص ٦٧ (٢) ج ٥ ص ٦٥
(٣) ج ٦ ص ٢١٢ (٤) ج ٥ ص ١٨٨

أنا بالري مقيم في قرى الري أهيم

وقد كنت صنعت هذا اللحن قديماً بالري فخرجت الجارية من وراء الستارة مبادرة إلى فأكبت على رأسي وقالت أستاذي والله فقال لها مولاها أي أستاذيك هذا ؟ قالت ابراهيم الموصلي فإذا هي إحدى الجواري اللاتي أخذن عني وطال العهد بها فأكرمني مولاها وبرني وخلع علي فأقمت مدة بعد ذلك بالري وانتشر خبري بها ثم كتب بحملي إلى والي البلد فأشخصت .

فترى أن كلمة (فتيان) قد استعملت في العصر العباسي وأريد بها إخوان الطرب الذين جمعتهم العشرة على موائد اللذات فهؤلاء الفتيان الذين تعطينا القصص صورة مصغرة لحياتهم في العصر العباسي كانوا إخوان لهو وسكر وعربدة وهذا ما يحدد حياة الفتوة في ذلك العصر المترف كما توضح معالمها هذه القصص المنثورة في مجلدات الأغاني وغيرها من كتب الأدب وإليك صورة أخرى لحياة الفتوة الخليعة في العصر الأموي ، جاء في الأغاني (١) في أخبار الدلال أنه من ظرفاء المدينة في العصر الأموي وكان جميلا حسن البيان ، ومن أحضر الناس جواباً وأحجهم . وكان سليمان بن عبد الملك قد رق له حين خصي غلطاً قال وأن الدلال خرج يوماً مع (فتية من قريش) في نزهة لهم وكان معهم غلام جميل الوجه فأعجبه وعلم القوم بذلك فقالوا قد ظفر نابه بقية يومنا ، وكان لا يصبر في مجلس حتى ينقضي وينصرف عنه استثقالا لمحادثة الرجال ومحبة في محادثة النساء فغمزوا الغلام عليه وفطن لذلك فغضب وقام لينصرف فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس وكان معهم شراب فشربوا وسقوه وحملوا عليه لئلا يبرح ثم سألوه أن يغنيهم فغناهم فاستطير القوم فرحاً وسروراً وعلا نعيرهم فنذر بهم (عم) السلطان وتعادت الأشراط (تعادت من العدو وهو سرعة الجري) فأحسوا بالطلب فهربوا وبقي الغلام والدلال وما يطيقان براحاً من السكر فأخذا فأتى بهما أمير المدينة الخ فترى حياة هؤلاء الفتيان حياة تحلل من قيود العرف وتهرب من أحكام الشرائع الأدبية المتعارفة في عصرهم وهذا نموذج لحياة الفتوة في العصر الأموي وإذا تراجعنا للعصر الجاهلي فإن طرفة يحدثنا عن فتوته في معلقته والأعشى في بيتيه المتقدمين ونجد الفتوة إذاك مزيجاً من الطرب والأنس والفروسية والنجدة وقد تكون نجدة وشهامة ورجولة كاملة لا غير كما في أشعار الحماسة التي أوردنا .

ومن هذا ترى أن الفتوة قد اختلف الناس باختلاف العصور والأزمان والبلدان — في فهم معناها ولولا ضيق الوقت لأتينا على عرض تاريخي مفصل للفتوة في الجاهلية وعصور الإسلام . إذ اقتصر حديثنا هذا على استعراض ما عثرنا عليه من النصوص الأدبية الموثوق بها لإثبات دعوانا السابقة من دلالة الفتوة على الشهامة والفروسية والنبل وكمال خصائص الرجولة ، وعسى أن ننال ثقة الناقد الكريم وهل ندري هل يزيف شواهدنا أيضاً ؟ أم يغضي على مضض وفي العين قذى وفي الحلق شجا : الحق أن معنى (فتى) قد تجلى ولا غبار يعد اليوم عليه ، وقد وضح الصبح لذي عينين والذي استهدفته من إطالة الحديث إعطاء القراء مثلا محسوساً لنقص كتب اللغة وعدم شرحها معاني المفردات كما هي إذ قد رأيت في مقالي الأسبق في العدد (٧٨٢) أنها أجمعت على تفسير كلمة فتى بالرجل الكريم السخي ولم تلوح كلها أو جلها إلى ما تضمنته الكلمة من معاني الجلد والفروسية والنجدة والبطولة واستكمال مزايا الرجولة وصفات الشهامة في حين أن النصوص الموثوق بها والتي وضعتها بين يديك تصرح في تكذيب قواميس اللغة ، ورميها بأنها سطحية لا تمنح الألفاظ إلا لمحة الطائر وفطنة المجلان)

ضياء الدفيلي

(١) ج ٤ ص ٢٨٢

يفيد القاضي والمتقاضي والمحامي والفقيه كتاب

مبادىء في القضاء الشرعي

الأستاذ الزين القاضي

يطلب من دار الرسالة بالقاهرة

ومن الأستاذ علي عبد الله بالمنصورة

وثمنه ٢٠ قرشاً عدا البريد

أوراق مطوية :

كل شيء إلى زوال

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

كل شيء إلى زوال ... فاســـقني خمرة الجمال
لا تكلني إلى غـــد ... إنه في دمي خيـــال
أنا لو كنت خالداً ... ما تمجلتك الوصـــال
هل ترى الصبر نافعاً ... لمقيم على ارتحـــال ؟
إنمـــا العمر خطوة ... كخطا الريح في الرمال
فاســـقني خمرة الجمال ... كل شيء إلى زوال !

أترى ذلك الضيـــاء ... رائع السحر والبهاء ؟
يملأ القلب فرحـــة ... ونزوعا إلى السماء
ويوافيـــه بالمنى ... وبأحلامه الوضـــاء
ويغني فتبعث الطيـــ ... ـر له أعذب الغناء
سوف يمضي كما أتى ... حينما يقبل المســـاء !
فاســـقني خمرة الجمال ... كل شيء إلى زوال !

أترى ذلك المـــاء ... رائع الصمت والخفاء !
يملأ النفس رهبة ... دونهـــا رهبة الفناء
فهو بحـــر بلا ضفا ... ف ، وأفق بلا إنتهاء
وهو نوم وراحـــة ... وهو سهد على بـــكاء
سوف يمضي كما أتى ... حينما يقبل الضيـــاء
فاســـقني خمرة الجمال ... كل شيء إلى زوال !

والربيع الذي تراه ... يتهـــادى على رباه
فتغنى به الدنى ... وتغنى له الحيـــاه
ســـوف يمضي كأنه ... أرج الزهر أو نداه
فإذا الزهر ذابـــل ... من بكاء على شـــذاه
وإذا النهر غائر ... بعد ما فاض شاطئاه
فاســـقني خمرة الجمال ... كل شيء إلى زوال !

والشباب الذي يطيب ... نفح ريحانه الرطيب
وترى حســـوله التي ... كفراش على لهيب
ســـوف يمضي مشيعاً ... كل ما فيه بالنحيب
ثم يأتي بيأســـه ... وبأحـــزانه المشيب
فإذا العمر وحشـــة ... دونها وحشة الغريب
فاســـقني خمرة الجمال ... كل شيء إلى زوال !

سوف أحيا مع الشباب ... بين أحلامه العذاب
فإذا الجسم في الثرى ... وإذا الروح في السحاب
وإذا بي مع الهـــوى ... كأغاني على رباب
أبصر النور في الدجى ... وأرى الماء في السراب
إنمـــا الحب ســـاحر ... يبدع الروض في اليباب
فإذا أقبـــل الردى ... ثار الهـــول كالعباب
قلت يا نفسي اهـــدئي ... ليس يجديك الاضطراب
إنما العمر رحـــلة ... بعدها يحمـــد المآب
فاحمـــدي ذلك المآل ... كل شيء إلى زوال !

إبراهيم محمد نجا

من وحي البحر :

السمكة الصغـــيرة

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

قذفتك الأمواج يا طفلة البحـــر إلى شاطئ عديم الوفاء
لن تصيبي عليه زاداً إذا ما ... جمت ... أو تظفري لديه بماء
لن ترى أي راحم فيـــه يرعى ... أو تذوق غير الأسى والشقاء
نحن في عالم التطاحن والحـــر ... ب ودنيا تعج بالبغضاء

لفظتك الأمواج يا دمية البحر ... ولم تبلغي حياة الشباب
وتركت العباب وهـــو متاع ... ومراح للخـــرّد الأتراب
لكأني بهن يبكين أختاً ... لم تمتّع بالعيش غض الإهاب

قهر البحـر حسنهـا ورماها فاستكانت لموجه النـلاب

أمسكتها يداى وهى على الشط تلوى ... تشكو لديه الجحودا
فتجلى للعين منهـــا جمال يتهادى : لوناً وحسناً فريدا
وبدت صورة الطفولة تحكى رقة الطفل حين يأتى الوجودا
يا لها ... هل تموت والماء منها قيد خطو ؟ ... لهفا عليه وليدا
غمستها فى الماء كفى ... فراحت تضرب الكف رغبة فى الفرار
طفلة البحر : إن تركتك للبحر أترعين بعد هذا جوارى ؟
من ضميني بأن أراك إذا أصبـــحت فى الغيد فاتنات العذار ؟
كم رعينا الظباء وهى صغار فاسألى اليوم عن جحود الكبار!

طفلة البحر : قد رجعتك للبحر فعودى فيه لجـــو النعيم
واسعدى بالقام فى لجه الصا فى بعيداً عما ترى من هموم
واحذرى الصائد الخئون إذا ما جاء يسعى بطعمـه المسموم
واذكرينى ... فإن ذكراك أندى لفؤادي من آدمى اثيم

دمية البحر : من رعى الوديوماً مثلنا نحن معشر الشعراء ؟
لو رآك الغداة غيرى لما طالعـــت منه إلا نذير الفنـاء
ولدا ست أقدامـه جسمك الغض فأمسى مبعثراً فى الهواء
إنعمى بالحياة ... إنا أناس دأبنا فى الحياة بذل الإخاء .

(رأس البر) محمد يوسف المحجوب

ثلوج الوحـــدة

للأديب رشيد ياسين

« إلى تلك السنوات التى قضيتها جارياً وراء مثل خادعة ... أسوق هذه اللفتة ! »

هلمى يا بيع المـآسى وسمعى كيانى، وشبى عاصفاتك فى دمى
وخلى وجودى فى فم النار آهة وشكوى، على سمع المقادر، ترنمى
فيارب مأســاة يذيب لهيبها ثلوج سآمانى ، ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاوز وحدتى وأحـــرق بالآهات صمتى على فمى !

مع الوحدة الخرساء عادت سذاجتى تكالف مغبون وصرخة ناقم
دفنت صراحى فى تهاويل حكمتى وضيعت فى صيد السراب تبسمى
وعشت يغشينى الضباب فلا أرى سوى أنجم تنقض فى إثر أنجم
أسير. فلا ظل لخطوى على الثرى ، وأشدو فلا ألقى صدى لترنمى
أدور على نفسى . وعينى كفيفة كدوامة يلهو بها لاعب عمى
وحولى وجوم فى فؤادى له صدى وفوق ركام[1] من أسى وتندم
وفى مقلتى طيف من الشك حائم تنذيه أشلاء اليقين المحطم

هلمى احرقى دنياى عنى أهتدى إلى دربى الخافى بنار تألمى
وأوقد من ماضى فى فورة اللظى بخوراً على قبر الشباب المهدم
فيارب مأســاة يذيب لهيبها ثلوج سآمانى ويمحو تبرمى
فأنسى شرورى فى مفاور وحدتى وأحرق بالآهات صمتى على فمى !

(بغداد) رشيد ياسين

(١) الركام : السحاب الكثيف

ظهر اليـــوم

عدد ممتاز من مجلة

نور الاســـلام

فى ٤٠ صفحة

تقرأ فيـه الخطب الدينية التى ألقاها كبار العلماء فى قصر عابدين العامر فى خلال شهر رمضان

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

سر الكافورة :

طالعني غير واحد من إخواننا الأدباء ، بهذا السؤال : لم لا يكتب الأستاذ الزيات في هذه الأيام ؟ وكنت أجيب إجابات مختلفة ، ليس منها أنه مستسلم للكسل ... وهل يليق أن أجيب بمثل هذا عن أستاذنا الجليل ؟

يقضي الأستاذ أكثر أيام الصيف بالنصورة ... هناك تحت الكافورة « كافورة الزيات » المشرفة من أحد النوادي على النيل والتي خلدها في بعض ما كتب منذ بضع سنوات .

والعجيب أن الزيات ، الأديب المعروف بالتعبير الجميل عن كل مايقع تحت حسه المرهف ، يخلد الآن إلى « الكسل الفني » تحت الكافورة ... وهو الذي لم يمنعه مرضه في الأيام التي قضاها مستشفياً بحلوان — أن يكتب ما أوحت إليه ، ولم ينس قراء الرسالة تلك اليوميات الممتعة .

فما أجدر الكافورة والنصورة والريف القريب منها الذي يتردد عليه الأستاذ — بأن تفيض على قلمه من جمال البيان مايصل به صدر الرسالة الذي جاءه من نحو شهرين .

ولست أجزم بأن الأمر في ذلك يرجع إلى الكسل ، فما يدريني ، لعل الكافورة تظلل سراً يختمر ...

قضية أدبية هامة :

تلقيت من الأستاذ عباس السيد أبو النجا المحامي ، كتاباً قفّى به على أثر الشاعر محمد محمد علي السوداني الذي عتب على الرسالة بقصيدة لإهمالها نشر أشعاره ، فأعتبته ونشرت قصيدة العتاب في العدد (٧٨٦) .

يقول الأستاذ أبو النجا إن ما أبداه الشاعر العائب « ترجمان صادق لما زخر به من الشكوى نفوس الكثيرين من أدباء الشباب ، فقد درجت بعض المجلات الأدبية والصحف اليومية على إغفال ما يرد إليها من ثمرات قرائح المتأدبين من الشباب والإلقاء بنفثاتهم في سلة المهملات رغبة عنهم إلى أولئك الذين نبه ذكرهم وبعد شأوهم من كبار الأدباء » .

وبين ما يترتب على هذا الاتجاه من آثار بالغة في حياة الأفراد والأمة ، بأنه يشكك ناشئة الأدباء في أدبهم ، لأن معيار جودة الأدب هو نشره ، ومتى تسرب الشك إلى النفس قلقلت ومالت جذوتها إلى الخمود ؛ وهذا يميت في ناشئة الأدباء روح الأدب ، إذ يصرفهم عن التحصيل وتعهد مواهبهم ، إلى أن يقول : « أما النتيجة الضخمة التي يؤدي إليها هذا الأثر وذاك فهي تأخر الأدب في الأمة وعدم ازدهاره فيها ، لقلة عدد الأدباء والمفكرين من أبنائها ؟ والأدب في كل أمة مرآتها المجلوة ، ولسانها النبي عن الذخور من أمجادها ، والمرجو من تقدمها ونهوضها » .

ويقول الأستاذ إنه عالج نظم الشعر ، ودفع ببعض ما نظم إلى بعض الصحف والمجلات ، وفي جملتها الرسالة ، فلم ينشر له إلا قصيدة في مجلة قدمها إليها أحد أصدقائه الصحفيين . ويسأل في آخر كتابه : هل المهم هو جودة الأدب أم شهرة الأديب ؟ ويقول : « صحيح أن كبار الأدباء قد انقادت لهم أزمة البيان ، ومن المحقق أنهم أقدر على الغوص والسبوح والتحليق ... ولكن هذا لا يمنع من أن يكون في الناشئة موهوب سبق عمره فهما وفطانة وكلت أداته يافعاً ، فهل يكون جزاؤه — لأنه مغمور — أن نغفل إنتاجه ونهمله ؟ »

وكل ما ذكره الأستاذ في رسالته صحيح لاشك فيه ، وتصوير المسألة وبيان آثارها كما صور وبين . ومن المؤسف أن المهم — عند الكثيرين من المشرفين على الصحف — هو شهرة الأديب لا جودة الأدب ، فهم يقرؤون المقالات والقصائد من ذيولها ... أما « الرسالة » فالأمر في ذلك عندها لا يعدو زعمة المواد واختيار الجيد والصالح للمحافظة على مستواها الأدبي المعروفة به ، وليس كل ما يهمل لرداءته ، فثمة اعتبارات أخرى تتعلق بالموضوع وروح المجلة وغير ذلك . والرسالة

قد فتحت ذراعيها للشباب منذ نشأتها ، حتى تخرج فيها طائفة منهم أخذوا أماكنهم بين الكتاب والشعراء ، ومنهم من هو فى الصدارة الآن ؛ ويوم بدؤوا فيها قبلتهم لجودة أدبهم بطبيعة الحال ، فلم تكن أسماؤهم معروفة ، فلا يجوز مع ذلك أن ترمى بأنها توصد الأبواب أمام الشباب .

الألفاظ الأجنبية بين الأمس واليوم :

نشرت مجلة الإصلاح الاجتماعى مقالاً لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد باشا ، عنوانه « موقف العربية من الألفاظ الأجنبية » وهو من مقالات معاليه القديمة التى كان يكتبها فى أوائل هذا القرن ، قالت المجلة إنها تنشره للوقوف على آراء قادة الفكر فى مطلع النهضة الحديثة . أثار أستاذ الأساتذة فى ذلك المقال قضية لاتزال من قضايا اليوم ، فقد دعا الكتاب أن يتساهلوا فى قبول الألفاظ الأوربية (كالأوتومبيل والبسكليت) ويدخلوها فى الاستعمال الكتابى كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة قائلاً بأن اختراع أسماء تستعمل فى الكتابة وحدها يوسع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام . والطريف فى نشر المقال فى هذا الوقت أنه يتضمن وجهات نظر تغير أساسها الآن تغيراً تاماً ، فما كان معاليه يدرى — إذ ذاك — أن « السيارة » ستجرى على ألسنة الناس أكثر وأسهل من « الأوتومبيل » إذ قال : « نشر مجمعنا اللغوى رحمة الله عليه أن الأوتومبيل (بالأفرنكى) اسمه (بالعربى) سيارة . فإذا قلت لواحد من أهل العلم (جاءت سيارة) فهم من ذلك أنك تخبر عن جماعة من الناس سائرين أو عن أحد الكواكب فأما فى العرف الفلاحى فالسيارة هى الهيئة المؤلفة من جماعة من الفقراء أبناء الطريق يحملون لواء طريقتهم وطبولها وبازاتها لينتقلوا إلى مولد من الموالد ، هذا هو ما أظن أهل القاهرة يعبرون عنه (بالإشارة) فإن قلت لخادمك جيء بسيارة فتح لك فاه ووقف ينتظر تعريباً للسيارة حتى تقول له جيء (بأتومبيل) ... »

وما كان معاليه أيضاً يعلم وهو يترحم على المجمع اللغوى القديم — أنه سيصير رئيساً للمجمع اللغوى الحالى الذى يسير فى نفس الطريق فيستبدل بأمثال « الأتومبيل » أمثال « السيارة »

وبعد فلا تزال القضية — كما قلت من قضايا اليوم ، بل هى من المعضلات ، فليست كل الأسماء (كالأتومبيل) والسيارة ، فثمة كثير من الكلمات الإفرنجية لا تزال نستعملها فى الكتابة ، وقد تعبت الأقواس فى حراستها ... وكثيراً ما تتأنس فتترك بلا أقواس . وقد وضع المجمع اللغوى كثيراً من الأسماء لمسميات حديثة ، ولكن الكتاب حتى أعضاء المجمع منهم لم يلتزموها فى كتاباتهم ، فلم نر أحداً منهم كظه حسين أو أحمد أمين أو المازنى يكتب السرة أو المشن بدل (التليفون والدش) وهل يعبر الدكتور أحمد زكى عن تحليل الكحول بـ (الخلكحة) ؟

والفئة الصابرة فى هذا الميدان ، هم أطفال المدارس وتلاميذها ، وهم وحدهم المكلفون بتنفيذ قرارات المجمع اللغوى ... فالطفل فى السنة الأولى الابتدائية لا بد أن يكون جملا تشتمل على « السحاح » « والأبزن » « والمشرحج » وهو حين يشب عن الطوق ... ويقرأ الكبار الكتاب لا يجد هذه الكلمات وأمثالها فيما يقرأ ، فينفض يده منها كالمعلومات التى يمتلىء بها ليفرغها فى الامتحان !

وقد تقول إن بعض الكلمات التى لا نستسيغها الآن ، قد تسير كما سارت السيارة وكثير غيرها ، ولكن هذا لا يكون إلا فى الكلمات التى يقبلها الكتاب ويمنحونها الحياة بأقلامهم . ولاشك أن للكتاب عذرهم فى استعمال الأسماء الأجنبية التى لم توضع لها أسماء عربية موفقة ، أو لم يوضع لها شىء ألبتة . وأنا لا أرى أحداً يستطيع أن يصف غرفة من الغرف الحديثة فيسمى كل محتوياتها بأسماء عربية صحيحة ، ويؤلف من ذلك — إن استطاع — كلاماً يقبله الذوق المصرى . وهذا مثل واحد ، وغيره كثير .

وما أحسبنا إلا متفقين على ضرورة المحافظة على سلامة التعبير العربى ، وقبول ما يوفق فى وضعه من الأسماء للمسميات الحديثة ، بطريق وجود الاسم فى اللغة ، أو بالاشتقاق أو النحت أو التعريب ، ومن التوفيق فى وضع الاسم أن تقبله الأذواق ، ولا يكفى إقرار المجمع إياه . والمشكلة فيما عدا ذلك من الأسماء الأجنبية ، أنقبلها كما هى . . أم ماذا نصنع ؟

الفكاهة فى :

ألقى الدكتور إبراهيم ناجى محاضرة موضوعها « سيكلوجية الفكاهة » بنادى جماعة العمل الوطنى الاجتماعى يوم السبت الماضى . وقد شرح فى هذه المحاضرة علاقة الضحك بالغريزة ، ثم تطرق إلى العلاقة بين الفكاهة والفن ذاهباً إلى أنها لون من

ألوانه ، وقال إن هذا الرأى خاص به ، لأنه لم يجده فيما لديه من المراجع السيكلوجية والفلسفية ، ثم دال على أن الفكاهة فن ببيان المشابه بينهما فقال : إن الفن مشتق من العاطفة مباشرة والفكاهة كذلك ، وقد يلونه الفكر كما يلون الفكاهة الراقية . والفن عند علماء النفس لعب بالانفعالات ، أو هو طاقة حيوية فائضة ، ولذلك ينبع من غريزة غنية بالعاطفة ، ولا يمكن أن تنتجه الغريزة الضحلة ، كذلك الفكاهة الفكرية الراقية لا يمكن أن يجىء بها إلا الأذكياء ، ولا يدركها بسرعة إلا الأذكياء . ويتفق الفن مع الفكاهة فى أن كليهما متعة وسرور ، وفى أنهما لا يهدفان إلى غاية اجتماعية ظاهرة ، وأن التهذيب بوساطتهما ناشىء من طبيعتهما الاجتماعية . ويرجع السبب فى أن عباقرة الفن ممن يجيدون الفكاهة أدباً أو تصويراً ، إلى أن الفكاهة والفن من معين واحد ، وأكاد أقول إن الكاتب الذى يجيد كتابة المأساة كشكسبير يجيد الفكاهة ، لأن أعذب الفكاهة هو الذى يجىء بعد كبت ومرارة كرد فعل ...

والنكتة البارعة سرها فى حل مسألة أو مشكلة ، أو فى وصف شىء بقول مبتكر سريع غير منتظر ، وهذا يشبه اللفتة الذهنية البارعة فى الفن الأدبى الرفيع كالاستعارة التى ترى إلى وجه شبه بعيد ، أو تناقض غير منتظر .

ثم ختم الدكتور ناجى محاضرته بقوله : يلاحظ أن الفكاهة فى الأدب العربى القديم كانت تكثر عن الطفيليين والمتسولين ، وهذا لون لا نراه الآن كثيراً . وكذلك تكثر فى الأدب العربى الفكاهة باللعب اللفظى ، ولا يزال هذا شائعاً .

فن مصرى :

الفكاهة باللعب اللفظى فن مصرى ، نشأ على ألسنة الشعراء والأدباء فى العهد الأيوبى وكثر فيما بعده ، ولا يزال شائعاً فى فكاهاتنا المصرية كما يقول الدكتور ناجى ، وأكثر ما يكون ذلك بالتورية والتجنيس . وكان من أسبق فرسانه الشاعر المصرى أبو الحسين الجزار ، قال فى زوج أبيه :

وقائل قال : ما سنها ؟ فقلت : ما فى فمها سن

وقال على لسان طبيب عيون :

يا سائلى عن حرفتى فى الورى واضيعتى فيهم وإفلاسى
ما حال من درهم إنفاقه يأخذه من أعين الناس

ومما يستملح ذكره فى هذا المجال أن الأستاذ العقاد كتب إلى شاعر يسكن بشارع المعجم فى مصر الجديدة هكذا :

« إلى شاعر العرب فى شارع المعجم » .

ولست أدرى هل يكون « المرسل إليه » شاعر العرب إذا خرج من شارع المعجم ؟ !

الأدب والفن فى قسم حلوان :

« وبتفتيش المشتبه فيه وجدنا معه أوراقاً فيها شعر وموضوعات أدبية » .

هذه فقرة من محضر التحرى الذى عمل لى فى قسم بوليس حلوان ، و « المشتبه فيه » هو أنا ، والذى حامت شبهته حول شرطى ذكى ألمعى — رآنى بحديقة الفندق المجاور لعين حلوان وأنا منهمك فى الكتابة ، ثم رآنى أغادر الفندق إلى مبنى المياه المعدنية ، وقد عرجت عليها فى طريقى إلى المحطة حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، فظن بى الظن كأن لم ير ولم يسمع ! ورآها فرصة مواتية لإظهار الكفاية والبراعة ، فلا بد أنى وضعت قنبلة فى مكان من هذه البقعة ، وعما قليل تنفجر ، وهذا هو ملقيها !

ولم يكن بد من الذهاب إلى قسم حلوان . وقال الضابط للشرطى الخارق الذكاء : وكل من تراه خارجاً من القهوة تأتى به ؟ ! ولكن هذا لم يمنع الضابط من أن يتمم ما بدأه الشرطى ... فسألنى وأجبت ، فقال لى : « وحضرتك لازم تتفلسف وتكتب مقالات ! ! ويبنى اللى كنت بتكتبه ... » وجعل الضابط يقرأ صامتاً ، وأنا أرجو أن أكسب قارئاً جديداً . ولم يخب رجائى فقد تفضل وأذن لى بالجلوس على كرسى بجواره ... ولكن « محضر التحرى » لا بد منه . وهذا يقضى بحجزى فى القسم حتى يثبت لهم أن « التفلسف وكتابة المقالات » لا ينطويان على خطر ... وتذكرت صديق الأستاذ سيد قطب فهو من سكان حلوان ، فاستنجدت به ، فأسرع إلى فى القسم ، ولولاه لبت ، وبات معى الأدب والفن ، فى قسم حلوان . وتركت الصديق الكريم فى القسم يتمم معهم « إجراء اللازم » وعدوت إلى المحطة لألحق بآخر قطار من حلوان فى منتصف الساعة الثانية صباحاً .

ولم آسف أكثر مما أسفت لذهاب نشاط البوليس فى اعتقالى هباء ... ألم يكن من المحتمل أن يكون مكانى « عنصر خطر » ولكن لا بأس ، وأرجو لهم حظاً أحسن فى غير هذه المرة .

عباسى مضر

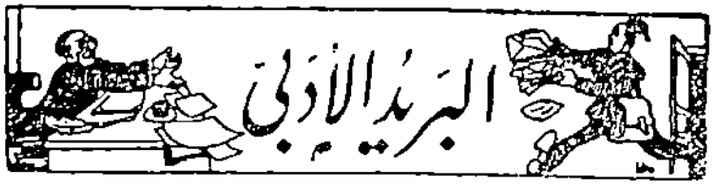

زعماء الإصلاح في العصر الحديث :

نشر الأستاذ الفاضل محمد خليفة التونسي في العدد ٧٨٨ من الرسالة الغراء كلمة عن كتاب (زعماء الإصلاح في العصر الحديث تأليف الأستاذ الجليل أحمد أمين بك ، وإنه لواجب عليّ أن أقول كلمة صغيرة أعقب بها على هذا النقد لعلها تبين شيئاً من أمر هذا الكتاب وإخراجه وتسميته .

لما أخذ الأستاذ الجليل أحمد أمين بك في دراسة بعض الشخصيات الإسلامية الكبيرة في مجلة الثقافة الغراء حوال سنة ١٩٤٤ ومابعدها جعل عنوان دراسته (زعماء الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر) فراقتني هذه الدراسة القيمة ، لأن هذا الجيل لا يعلم من أمر هؤلاء المصلحين إلا قليلا ، بل لا يكاد يدري من أمر إصلاحهم شيئاً ، ولكني خشيت أن لا تتناول هذه الدراسة أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده والسيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهما ممن قضوا نحبهم في القرن العشرين . وما دام الأستاذ المؤلف قد درس شخصية السيد جمال الدين الأفغاني فلا بد له من أن يدرس شخصية الأستاذ الإمام محمد عبده لأنه تلميذه الأول وخليفته في الإصلاح الديني والفكري في الشرق كله وفي عنق كل مسلم وكل مفكر في هذا العصر دين كبير لهذين المصلحين العظيمين .

من أجل ذلك كله رأيت أن أقترح على الأستاذ الجليل أحمد أمين بك أن يوسع من أفق بحثه حتى يشمل من ذكرنا ، ولا بأس من أن يجعل عنوان هذا البحث (زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث) وأن يجرد هذه الفصول ليبني منها كتاباً برأسه ينتفع هذا الجيل منه ، ويكون له أسوة حسنة فيه وأرسلت بما رأيت كتاباً إلى حضرته ، فتفضل حفظه الله وبعث إليّ بجواب مؤرخ ٢٤ / ٦ / ١٩٤٤ هذه صورته :

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ محمود أبو رية(١)

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأشكركم على خطابكم ، وسآخذ برأيكم في تسمية البحث ، زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث ، وأضم إليه بعض الأشخاص التي أشرتم إليها ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أحمد أمين

وما لبث حضرته — بعد هذا الخطاب — أن غير عنوان البحث في مجلة الثقافة الغراء ، فجعله : (زعماء الإصلاح الإسلامي في العصر الحديث) وظل يكتب بحثه إلى أن فرغ من بحثه فيما كتب عنهم ، وكأنه عند ما أراد أن يخرج هذه البحوث كتاباً اختصر هذا العنوان فجعله : زعماء الإصلاح في العصر الحديث .

هذا ما رأيت أن أعقب به على ما كتب الأستاذ الفاضل التونسي لأبين للناس ما أعرفه من إخراج هذا الكتاب وتسميته

ولو أن الأستاذ الجليل أحمد أمين بك قد أراد أن يدرس شخصياته دراسة (بيوجرافية) كما يريد الأستاذ التونسي لما أعجزه ذلك ، بل لكان عليه هيناً ، ولكن كيف يتهيأ هذه الطريقة في ترجمة عشرة من الزعماء — أو عشرين كما يريد الأستاذ التونسي — ثم يخرج هذه التراجم كلها في مجلد واحد !.

ولعل الأستاذ التونسي بعد أن يطلع على كلمتنا هذه أن يغير رأيه في هذا الكتاب القيم وينظر إلى قيمته في نفسه وأثره النافع عند قارئيه ، وهو جد عليم بأن مجال البحث في دراسة هذه الشخصيات وغيرها لا يزال واسعاً لكل من يشاء أن يدرسها بما يحسن من طرائق وأساليب ، ويعلم كذلك أن التاريخ لهم لا يشبع ، وهو في حاجة دائمة إلى دراسات مختلفة لشخصيات العلماء وأعلام الفكر والإصلاح .

على أن الذي نأخذه على الأستاذ التونسي هو تنقيبه على تلك الهنات الصغيرة التي أوردها ، لأن مثل هذه الهنات مما لا يكاد يخلو منه قلم كاتب ، وهو نفسه قد زل قلمه ووقع فيما انتقد فيه غيره ، وإلا فما رأيه في كلمة (مبرر) التي استعملها في معنى مسوغ وهي كلمة عامية ، ثم هل يرضيه أن يُجمع (معجم) على (معاجم) ؟

ونكتفي بهذا القدر ، والأستاذ منا خالص التحية .

محمود أبو رية

تحية كريمة :

أرسل الأديب الألباني الأستاذ وهبي إسماعيل حقي كتابه الجديد « المهد الذهبي » إلى أمير القصة المصرية صاحب العزة محمود بك تيمور وقد تفضل وأرسل عزته إليه الخطاب الآتي :

(١) أثبتنا هذا الخطاب بنصه اتباعا لقاعدة نشر النصوص على أصلها

عزيزي الفاضل الأستاذ وهبي إسماعيل حقي

تلقيت هديتكم القيمة « المهد القدسي » وقصص أخرى من الأدب الألباني . وإنها لمجموعة طريفة تجلو لنا في صدق ووضوح أغوار النفس الألبانية وحياة المجتمع . وإني شاكر لكم أجمل الشكر إذ أتحتم لي الفرصة لأن أستمتع بذلك اللون الجديد من الأدب الشرق ، وأرجو لجهادكم الطيب كل توفيق ونجاح .

وإني مقدر لمجهودكم الطيب في توطيد أو أصر الود والولاء بين القطرين الشقيقين راجيا لكم حسن التوفيق ومطرد النجاح وتقبلوا خالص مودتي واحترامي .

المخلص

محمود تيمور

١ — تواريخ القدس :

ذكرتني مقال الأستاذ أحمد رمزي بك في عدد سابق من « الرسالة » بناحية من نواحي عناية المسلمين ببيت المقدس ، وهي كثرة التأليف في تأريخه . من ذلك ما جاء في كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ص ١٣٤) : جمع تاريخ بيت المقدس وفضائله الحافظ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الرميلي المقدسي ، وفضائله أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي الخطيب والصلاح خليل العلائي ، والعماد الاصبهاني الفتح القدسي ، والحافظ أبي بكر بن المحب من نزل بيت المقدس ، والبرهان بن الفوكاج الفزاري باعت النفوس على زيارة القدس المحروس .

ومن الكتب المؤلفة في ذلك أيضاً : تاريخ القدس لمحمد بن محمود بن اسحاق القدسي ، والجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى ، ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام ، وأتحاف الاخصا بفضائل المسجد الأقصى لابن أبي شريف ، والروض المغرس في فضائل بيت المقدس للتاج الحسيني ، ولطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل لمصطفى اللقيمي ، والأنس الجليل

٢ — إنباء الغمر بأنباء العمر:

تكرر كثيراً في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وغيرها اسم «إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني» بتقديم الباء على النون . والصواب « إنباء الغمر بأنباء العمر » بتقديم النون على الباء ، لأن الكتاب يذكر فيه مؤلفه الأنباء التي دفعت في زمنه ، ثم يسرد أسماء المتوفين في كل سنة . وللمؤلف كتاب خاص بأبناء عصره اسمه «الدار الكامنة» . وقد جاء اسم الكتاب صحيحاً في « فهارس الكتب المصرية » .

محمد أسامة عليبة

لا تسألوا عن أشياء أيضاً :

كنت أحسب أن الآيتين الكريمتين : « وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون » ، « وقلنا ما نزّل الله من شيء إن أنتم إلاّ في ضلال كبير » . فيهما وحدهما الرد على أستاذنا الكبير البشبيشي في الرأي الجديد الذي ارتآه في صرف كلمة أشياء الممنوعة من الصرف بإجماع الآراء — فإذا بالأستاذ يقول في العدد ٧٨٩ من الرسالة الغراء « ولا وجه للقياس على توالي المقطعين بتكرار (إنْ) في قوله : من شيء إن أنتم ... إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة شيء في الآيتين . . » وإذا جاز الوقف على شيء فيهما جاز أيضاً الوصل بل هو الأولى والأعلى والأصح خاصة في الآية الأولى ، فيتوالى إذاً المقطعان (إنْ إنْ) بلا تنافر ولا ثقل ولا إخلال بحسن الجرس أو التناسب أو التناسق الملحوظ في القرآن . والوصل هو الأصل إذا جاز الفصل كالمعروف :

وإذا كانت همزة شيْ مسبوقة بحرف لين صامت ، وهمزة أشياء مسبوقة بحرف مد صاعد ، فالأخف والأسهل نطقاً وذوقاً حرف المدّ لا حرف العلة مما يسيغ تنوين همزة أشياء لو جاز فيها التنوين ومتى ورد توالي المقطعين (إنْ إنْ) بسهولة سائغة في الآيتين ولم يرد ذلك في آية : لا تسألوا عن أشياء ، مع إمكان ذلك لو صح تنوينها — فلا وجه لشبهة من ثقل أو تنافر وتبقى الكلمة كما كانت ممنوعة من الصرف في القرآن وفي غير القرآن

ولما كان الأستاذ البشبيشي لم يورد لها استعمالاً مصروفاً في القرآن أو في الحديث أو في الشعر القديم أو في النثر المعتمد فأنا ما أزال أقول (ولا يقال : أنا لا أزال أقول كما قال الأستاذ إلا في الدعاء كقول ذي الرمة : ولا زال منهلاً بجرعائك القطر) ما أزال أقول إنّ الكلمة ممنوعة من الصرف لأحد الأسباب الكثيرة المعروفة التي أثقلت كواهل النحويين في الكتب وأفهام الطلبة في المدارس ، فهل يريد أستاذنا البشبيشي أن يزيدها سبباً جديداً ... ؟

أحمد أحمد العجمي

من الأدب الروسي :

شجرة عيد الميـــلاد

للكاتب القصصي تيودور دوستويفسكي

بقـــلم الأديب محمد فتحي عبد الوهاب

أنا كاتب قصصي ، وأعتقد أنني كتبت هـذه القصة . أقول « أعتقد » مع علمي التام بأنها من إبداع قلمي. ولكني مع ذلك على يقين بأنها قد حدثت فعلا في مكان ما في زمن ما ، وقعت في بلدة كبيرة ذات ليلة من ليالي عيد الميلاد الشديدة القر

إني أتخيل غلاماً ، صبياً صغيراً ، له من العمر ست سنوات أو أقل . استيقظ من مرقده في قبو رطب بارد ، وكان يرتدي جلباباً قصيراً ويرتجف من لفحات القر ، وتخرج من فمه مع زفيره سحابة بيضاء من البخار وهو قابع على صندوق في ركن من أركان القبو ، يراقبها تتصاعد في الجو مبتعدة عنه .

كان يشعر بالجوع يلوي أحشاءه . وكم ذهب المديد من المرات في صباح ذلك اليوم إلى الفراش العاري الذي ترقد عليه والدته العليلة ، ذلك الفراش ذو الحشية الرقيقة المهلهلة والوسادة أشبه ما تكون بالأسمال .

ما الذي أوجدها هنا ؟ لعلها قدمت مع ولدها من بلدة أخرى ثم دهمها المرض فجأة . كانت صاحبة الدار قد قبض عليها منذ يومين وأودعت السجن . ورحل معظم السكان لاقتراب العيد ولم يبق في الدار إلا من ثمل دون أن ينتظر عيد الميلاد ، وعجوز في سن الثمانين رقدت في أحد الأركان تتأوه وتتوجع من آلام (الروماتزم) وتعنف الصبي وتبـــدي تذمرها منه فيخشى الاقتراب منها .

كان في وسعه أن يحصل على ما يروي ظمأه من الغرفة المجاورة ، ولكنه لا يجد كسرة من الخبز يسد بها رمقه وكم قاسى من ذلك الجوع الذي كان يدفعه إلى محاولة إيقاظ والدته عشرات المرات . وشعر أخيراً بالخوف ينتابه الخوف من الظلام . كان الليل قد أرخى سدوله ، ولم يكن عنده ما يستضيء به ، ولمس وجه والدته فلم تبد أي حراك . كانت باردة برودة الحائط . فجعل يخاطب نفسه قائلا « إن الجو بلا شك بارد جداً » ووقف لحظة ، وبدون أن يشعر ، وضع يده على كتفي والدته ، ثم نفخ في أصابعه يدفئها ، ثم جعل يبحث عن قلنسوته فوق الفراش ، وأخيراً خرج من القبو .

لقد كان يود أن يخرج مبكراً ، لولا فزعه من الكلب الكبير الرابض عند باب الجيران . ونظر ، فلم ير للكلب أثراً ، فتابع سيره لا يلوي على شيء .

فليرحمنا الله . يا لها من بلدة ! إنه لم ير مثلها من قبل . حقاً إنها لم تكن كبلدته . كان الليل حالك الظلام ، ولم يكن في الطريق سوى مصباح واحد . وتوارى الناس في ديارهم ، فلم يسمع إلا نباح الكلاب ، مئات بل آلاف منها تنبح وتعوي طوال الليل . ولكنه كان في بلدته يستشعر الدفء ويجد ما يقتات به . أما هنا ... آه لو استطاع أن يجد ما يأكله . يا لها من جلبة وضوضاء ! ويا لها من إضاءة ! وياهؤلاء القوم وتلك المركبات ، وهذا الصقيع ! كان البخار يتصاعد في سحب من أفواه الجياد ، وكانت حوافرها تصطدم في سيرها بالأحجار المغطاة بالثلوج المتراكمة . كم هو في حاجة إلى ما يسد غائلة جوعه ... ولم يشعر الآن بالتعاسة . واقترب منه شرطي فتنكب طريقه وابتعد عنه .

ها هو ذا طريق آخر ، وما أوسعه من طريق . كان الناس غادين رائحين ، يصيحون ويهرولون ويندفعون والضوء ! ذلك الضوء ! ولكن .. ماهذا ؟ إنها نافذة زجاجية كبيرة . ونظر خلالها فرأى شجرة طويلة من أشجار عيد الميلاد ممتدة حتى السقف ، وقد تدلت منها مصابيح وأوراق مذهبة وتفاح ودمى صغيرة وجياد . وكان الأطفال في ملابسهم القشيبة يلهون ويمرحون ، ويأكلون ويشربون . ثم ابتدأت فتاة ترقص مع أحد الصبية . وانسابت إلى أذنيه نغمات الموسيقى . ونظر وتعجب ثم ضحك . كانت أطرافه تؤلمه من البرد وأصابعه حمراء متصلبة ، توجعه إذا ما حركها . وعندما تذكر ذلك ، طفق يبكي ، ثم عدا

حتى انتهى به الطاف إلى نافذة أخرى شاهد من ورائها شجرة ثانية ، ومنضدة حافلة بمختلف الحلوى وقد جلس حولها ثلاث سيدات يوزعن الحلوى على كل من يقصدنهن . وظل باب الدار مفتوحاً يدخله الكثيرون من الرجال والسيدات . وزحف الصبي ، ودفع الباب ، ثم داف إلى الغرفة . لقد ساحوا فيه ودفعوا به إلى الخارج . وأقبلت عليه سيدة تهرول ودست فى يده قطعة من النقود ، ثم فتحت له الباب ودفعته دفعاً إلى الطريق .

وسقطت قطعة النقود منه ، ورن رنينها على الأرض . ولكنه لم يستطع قبض أصابعه الحمراء لالتقاطها . وجرى مبتعداً ، وطفق يعدو إلى حيث لا يعلم . وكاد يبكي مرة أخرى . كان خائفاً مرتعباً ، واستمر يعدو وينفخ فى أصابعه ، باكياً ، وحيداً جزعاً . ولكن ... ما الخبر ؟ كان الناس محتشدين أمام زجاج نافذه وقد ظهرت على محياهم علامات الإعجاب لرؤيتهم ثلاث دمى صغيرة تتحرك وكأنما قد دبت فيها الحياة . كانت الأولى تمثل رجلا عجوزاً جالساً يعزف على كمان كبير ، والدميتان الأخرتان واقفتان تعزفان على كمانين صغيرين وتحنيان رأسيهما ثم تحيي كل منهما الأخرى . وكانت شفتاهما تتحركان كما لو كانتا تتحدثان .

ظن الصبي بادىء الأمر أنها حية . ولكنه عندما استبان له أنها ليست إلا دمى ، ضحك وتهلل . أنه لم يشاهد مثلها من قبل ، ولم تكن تخطر له ببال . وألهاه ذلك النظر عن شعور البكاء الذى انتابه . ثم شعر بمن يجذبه من ردائه ، فالتفت خلفه فرأى غلاماً يلطمه على أم رأسه ، ثم اختطف منه قلنسوته ، ثم ألقاه على الأرض ، فسقط الصبي مرتعباً ، ولكنه سرعان ماهب واقفا وعدا مبتعداً عن النافذه وقد وجف قلبه فزعا ، وطفق يعدو دون أن يدرى إلى أين يذهب ، حتى وصل إلى باب ساحة ، فدلف إليها وتهالك على كومة من الأخشاب وهو يخاطب نفسه « إنهم لن يبحثوا عنى هنا ، فى ذلك الظلام المدلهم » .

وجلس منطوياً على نفسه ، مبهور الأنفاس . ثم شعر فجأة بالسعادة تغمره ، وزال الألم من أصابعه واستشعر الدفء وكأنه قرب موقد . فارتجف وصاح « عجباً ! لابد أنى أحلم ! كم هو لذيذ أن يقام المرء هنا . سأرقد قليلا ثم أعود بعد ذلك لمشاهدة الدمى » وابتسم وهو يفكر فيها ، وقد تمثلت فى خاطره كأنها مخلوقات حية . وسمع صوتاً حنوناً يهتف فى أذنه قائلا « تعال إلى شجرتى . شجرة عيد الميلاد أيها الطفل » .

وظن الصبي أنها والدته هى التى تهمس فى أذنه . ولكن . لا . إنها لم تكن والدته . من الذى يناديه ؟ ولم يجرؤ على النظر إليها عندما أنحنت فوقه تحتضنه فى الظلام . ومد يده إليها . وفجأة ... يا إلهى . ما هذا الضوء الباهر ؟ وما أجمل هذه الشجرة ! أين هو الآن ؟ كان فى مكان جميل كثير الدمى . ولكن ... كلا إنها لم تكن دمى ، بل كانوا أولاداً نضرين فى حلل قشيبة وقد تهللت وجوههم بشراً . وأقبلوا عليه من كل صوب يحيطون به ويقبلونه . وشاهد والدته تنظر إليه وقد أشرقت على شفتيها ابتسامة فياضة ، فصاح قائلا « أماه ، أماه ، ما أجمل أن يعيش المرء هنا » وجعل يقبل الأولاد ، ووود أن يخبرهم عن الدمى التى شاهدها . وجعل يسألهم « من أنتم ؟ من أنتم ؟ » وهو يشاركهم الضحك معجباً بهم . فأجابوه « هذه شجرة عيد ميلاد المسيح ، شجرته الخاصة ، وهبها للأطفال الذين لا يملكون مثلها » .

كانوا أطفالا حالهم مثل حاله . فمنهم من تجمد برداً فى السلال التى تركهم ذووهم فيها على عتبات الديار . ومنهم من لقى حتفه خنقاً خشية العار ، ومنهم من مات على ثدى والدته الجائعة والآخرون دهمهم الموت من فساد هواء المكان الذى كانوا يعيشون فيه . ومع ذلك .. كانوا كلهم مجتمعين هنا كالملائكة حول المسيح . وكان المسيح يتوسطهم ويمد يده إليهم يبارك بهم وأمهاتهم قد فاضت دموعهن . وكانت كل من تعرفت بولدها تندفع إليه فى شوق تقبله فيمسح عبراتها بيديه الصغيرتين ، متوسلا إليها ألا تبكى . كانت تغمرهم السعادة .. السعادة الحقة .

وانبثق نور الفجر ، عندما وجد رجال جثة الصبي متجمده الأطراف من شده القر ، راقدة على كومة الأخشاب .

وبحثوا عن والدته . كانت قد سبقته إلى العالم الآخر . لقد تقابلا أمام الله فى السماء .

لست أدرى لماذا كتبت هذه القصة التى لا تجرى فى أسلوبها مع مذكرات عادية أو مؤلفات كاتب . ولكن كل ما أدريه أنى ما زلت على يقين بأنها ليست وليدة الخيال ، وإنما وقعت فعلا ، وإنه قد حدث ما حدث فى ذلك القبر وكومة الأخشاب هناك .

أما عن شجرة المسيح ، فلا أستطيع أن أجزم هل هي حقاً فى عالم الوجود أم أنها من نسيج خيالى .

(الإسكندرية) محمد فتحى عبد الوهاب

مصلحة سكك حديد الحكومة المصرية

تسيير عربة ديزل درجة أولى وثانية بين الاسكندرية ومرسى مطروح

بتشرف المدير العام باعلان الجمهور أنه اعتباراً من يوم الخميس ١٩ أغسطس سنة ١٩٤٨ وبناء على رغبة مصلحة السياحة ، تقرر تسيير عربة ديزل درجة أولى وثانية بين الاسكندرية ومرسى مطروح فتغادر محطة الاسكندرية كل يوم خميس وأحد فى الساعة الثامنة صباحاً وتصل مرسى مطروح فى الساعة ١٢ر٥٠ بعد الظهر ، ثم تعود من مرسى مطروح كل يوم جمعة فى الساعة الثانية بعد الظهر وتصل الاسكندرية فى الساعة ٦ر٥٠ مساء وكل يوم اثنين فى الساعة ٧ر٢٠ صباحاً وتصل الاسكندرية فى الساعة ١٢ر١٠ بعد الظهر.

لا تقف هذه العربة إلا بمحطة سيدى جابر فى الذهاب والأياب .

مطبعة الرسالة